الرواية المحلية لسيرة

عمير وعرار (الضياغم)

د. سليمان بن محمد الحصان

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

تبقى سيرة عمير وعرار كغيرها من السير والأحداث القبلية التي وإن كان حدوثها حقيقي إلا أن الرواية الشفوية هي مصدرها الوحيد. هذه الرواية التي تضعف من جيل إلى آخر مع تقادم الزمن، ولن يجد الباحث - البتة - معلومات هذه السيرة بين دفتي كتاب وإنما شأنها شأن ما يحدث بين القبائل والأسر على مر العصور، فلا يؤرخ ولا يكتب، بل إن التاريخ المكتوب أهمل ما هو أشهر منها كسيرة بني هلال وأحداثهم، ذلك أن التاريخ المدون لا يهتم إلا بأخبار الحكام الذين يمارسون حكمًا حضاريًا ضمن دولة أو دويلة. أما ما يحدث بين القبائل من منازعات وحروب وأحداث جسام فلا يهتم به المؤرخون، اللهم إلا ما أشير إليه بين ثنايا السطور إشارات عابرة فقط.

وبالنسبة لأحداث سيرة عمير وعرار (الضياغم) فقد حدثت في الجزيرة العربية وحدث معها وقبلها وبعدها ما هو أعظم منها ولم

يصل إلينا إلا عبر روايات شفوية تضعف شيئًا فشيئًا حتى تنسى. إلا أن هذه القصة وصل منها إلى هذا الجيل - مشافهة - جزء لا بأس به من تفصيل الأحداث والقصائد وإن كان المفقود أكثر بكثير مما وصل.

وخلال تتبعي لكتب التاريخ والمخطوطات وجدت عن هذه القبيلة بعض الإيحاءات سواء عنهم عندما كانوا في جنوب الجزيرة أو حتى بعد الهجرة إلى وسطها الشمالي ولكنها إيحاءات عابرة مختصرة لا يعتمد عليها كثيراً، أما بالنسبة للأحداث التي وقعت في جزيرة العرب فلا شك أن الجزيرة بوجه عام ونجد بوجه خاص قد مرّت بحقبة زمنية طويلة كانت خلالها على أسوأ حال ومجهولة التاريخ تمامًا وذلك من سنة ٦٠٠-١١٠٠هـ تقريبًا.

أما الزمن التقريبي الذي أملاه عليّ استقرائي لبعض الأحداث لهذه السيرة فلربما أن مجيئهم إلى نجد في أواخر القرن التاسع الهجري وأوائل القرن العاشر لعدة قرائن أهمها :

١ - أن مؤلف كتاب (طرفة الأصحاب) قد تطرق لأجداد الأشخاص المعنيين بالسيرة ولم يشر لأشخاصها مما يعني أنهم في التسلسل اللاحق لعصر المؤلف (القرن السابع).

٢ - أن كثيراً من الباحثين المتمكنين قد أشاروا إلى قصة الضياغم وحدوثها في القرن العاشر ومنهم الأستاذ عبدالله الحاتم.

٣ - أن الترك الذين استعان بهم فارس بن شهوان أتوا من العراق، والعراق لم يستولي عليه الأتراك إلا عند سنة ٩٤١هـ.

حيث ورد في قصيدة فارس بن شهوان ما يدل على أنه استعان بهم من شرق العراق وأنه عبر بهم النهرين (البحرين) دجلة والفرات.

وقد ورد ذكر لأجداد أمراء القبيلة في كتاب «بهجة الزمن بأخبار اليمن» ذكر فيه أن شهوان بن منصور العبيدي شارك في غزوة شبام وحضرموت سنة ٦٧٨هـ، إلا أن هذه المعلومات لا تدل على تحديد زمن حدوث السيرة ذلك أن شهوانًا بن منصور المذكور لا يمكن أن

يكون هو شهوان المعروف بهذه السيرة لأن المعني هو شهوان بن منصور بينما شهوان المذكور بالسيرة هو شهوان بن ضيغم، كما أنه ذكر في كتاب «طرفة الأصحاب» أن لشهوان بن منصور ثلاثة إخوة هم طريف وعبدالله وعلي ولم يذكر له أخًا اسمه راشد كما ورد بالسيرة مما يؤيد أن شهوانًا المذكور بالسيرة هو من الأجيال اللاحقة.

والضياغم هم أولاد ضيغم بن شهوان بن جعفر سكنوا تثليث، وأخذوا يتوسعون نحو بيشة غربًا ونجران جنوبًا وقد سكنوا على أنقاض بلدة الهجيرة المذكورة في كتب الهمداني فسموها الجعيفرة، نسبة إلى أحد أجدادهم (جعفر) ولا تزال معروفة بهذا الاسم إلى وقتنا الحاضر، هذا موطنهم قبل الإنتجاع والهجرة، أما بعد الهجرة فاستقروا في منطقة الأسياح وعلى جوانب وادي الرمة.

وأسباب الإنتجاع من الجنوب إلى الشمال دافعها الرئيسي هو قلة الأمطار وجفاف الأرض وندرةالعشب حتى وصلت بهم حالة الضعف إلى حد كبير من جراء نفاذ المواشي وقلة الأرزاق، قال شاعرهم:

واد من الامحـال عاف آل ضيغم

وياما جنينـا مـن وراه الفوايـد

فهذا تصوير لحالتهم وما يعانونه من جدب وعزا - تجاوزاً - جدب الوادي الذي طالما كان معشبًا لسنين طويلة عزاه لأنه بدأ يكرههم ويعافهم، حتى أنهم عندما بدأوا الهجرة شمالاً كانت البقية القليلة الباقية من المواشي في منتهى الهزال والضعف، وقد صورها شاعرهم بأن تلك المواشي تتمايل وتكاد تسقط من الهزال وكأنها شخص مريض عليل يؤثر على سيره هبوب الهواء ولو كان خفيفًا عندما قال:

أنا شاب راسي من مناظر ضعائن

كنهـا عليـل مقتـفـيـة أنـواد

وكما ذكر فإن القرن العاشر أو نهاية التاسع هو زمن حدوث السيرة وكانت اللغة العربية قد داخلها اللحن، ولا شك أن أشعارهم ملحونة بداخلها الكثير من الكلمات الغير فصيحة بالإضافة إلى ما

أدخله الرواة من الكلمات العامية، ولكنها رغم ذلك تبقى قريبة من الفصحى حتى أن الكثير من الأبيات الشعرية يمكن إرجاعها إلى أصلها الفصيح بسهولة مثال ذلك قول عميرة :

إن كان جيعـان فعنـدي سحائـح

وإن كان ضميـان فسعـن حليب

يمكن إرجاعها إلى أصلها الفصيح :

فإن كنت جوعان فعنـدي سحائـحٌ

وإن كنت ضمـآن فسعـنُ حليبِ

وقول عرار :

ترى إن كان يا عين البكا يدني العمى

فنامنك يا عيني مريـب وخائـف

يمكن إرجاعها فنقول :

إذا كان يا عين البكا يدنـــي العمى

أنا منك يا عيني مريـبٌ وخائـفٌ

وتبقى مسألة أخرى يحسن الإشارة إليها وهي أن بعض الرواة والمهتمين برواية مثل هذه السير والأحداث يخلطون بين أحداث هذه السيرة وبعض أحداث سيرة بني هلال في سرد الأحداث وفي لأشعار مع أن الفاصل الزمني بينهما أكثر من أربعة قرون، والحقيقة أنني قد حاولت في هذا البحث أن أقارن بين عدة روايات من مختلف مناطق المملكة وأكمل هذه من تلك إلى أن وصلت إلى هذا النص.

والله أسأل التوفيق والسداد .. ،، ..

د. سليمان الحصان

موطن القبيلة ورئاستها

الموطن الأصلي لقبيلة عمير وعرار (الضياغم)[1] هي منطقة تثليث، جنوب شبه جزيرة العرب، وهذا ما اتفق عليه الرواة المحليون، فقد كان رئيس القبيلة هو (ضيغم)، وله ولدان هما راشد وشهوان، وبعدما توفي ضيغم المذكور ورث ابنه الأكبر (راشد) رئاسة القبيلة، وكان على وفاق تام مع أخيه شهوان، الذي فوّضه في كل شيء، وأقره كوريث شرعي للسلطة، إلا أن المنيّة لم تمهل راشداً، فقد توفي هو الآخر بعد عدّة سنوات من ترؤسه للقبيلة، فانتقلت الأمارة عُرفًا لشقيق راشد (شهوان)، بمباركة من أفراد القبيلة، بمن فيهم (عمير بن راشد)، وإن كانت مباركته وموافقته ظاهرية فقط، لأنه يرى بذلك أنها تقترب من (عرار بن شهوان)، الذي لا يمكن أبدًا أن يوافق عمير على توليّه

(١) هم أولاد ضيغم بن شهوان سكنوا منطقة تثليث بجنوب الجزيرة العربية على أنقاض بلدة الهجيرة الأثرية القريبة من مدينة تثليث (منطقة تثليث وما حولها من ٦٥٠ - ١٤١٤هـ، عمر بن غرامه، دار الشبل - ١٤١٤هـ).

للإمارة مهما يكن، لسببين :

الأول : أنه يرى أنه أحق من عرار، كون والده قد تولّى السلطة أولاً .

الثاني : أنه يرى في عرار تلك الشخصية الساذجة - في نظره - التي لا تصلح لتسيير شؤون القبيلة .

على كل حال سارت أمور القبيلة تحت زعامة (شهوان) على أحسن ما يرام عدة أعوام، إلا أنه مع تقدم (شهوان) في السن بدأت لمسات (عرار) تظهر في تصريف شؤون القبيلة، وهذا أمر طبيعي وهو الإبن الأكبر لزعيمها، إلا أنّ هذا كله لم يرق لـ (عمير بن راشد)، الرجل الحكيم الداهية الشجاع الفارس المغوار، الذي بدأ يرى بعينيه بوادر انتقال السلطة لعرار، فبقي صامتا، لكنه صمت أملته عليه الحكمة وبعد النظر، مع الإنتظار وترقب الفرصة، والتخطيط بعيد المدى للإستئثار بالسلطة - بعد موت عمه على الأقل - مع ثقته التامة بنجاح مخططه، وطمأنه لهذا النجاح أمران :

الأول : تأكده من منزلته الرفيعة، وقدره العالي لدى كل أفراد القبيلة، فهو الشهم الشجاع الفارس الذي يذود عن حياض القبيلة، بكل وقعة ومواجهة مع العدو، وهو المفرط في الكرم والجود والبذل والعطاء، لكل من طلب، ومن لم يطلب، خاصة وجوه القوم، ومع أن هاتين الصفتين متأصلتان فيه إلا أنه حافظ وزاد عليهما أكثر مما يجب، إنفاذا لما أملاه عليه ذكاؤه المتميز، في سبيل تنفيذ مخططه السالف الذكر.

أما الأمر الثاني : الذي طمأن عمير إلى نجاح ما نوى به فهي الصفات الشخصية لـ (عرار)، ابن رئيس القبيلة الحالي، فهو لا يرتفع إلى مستوى ما يتصف به عمير من الصفات الفذّة من الحكمة والدهاء والتؤدة، وبعد النظر، فعرار مع أن له نصيب من الشجاعة والإقدام، إلا أنه يفتقد للرأي الصائب، والحكمة التي بواسطتها يستطيع مداراة أفراد القبيلة، وكسب مودتهم وثقتهم، ومن ثم تبعيتهم، ورغم أن الظروف شبه مواتية لعمير لطلب السلطة

والإستئثار بها إلا أنه رأى في ذلك مجازفة ومخاطرة، لا سيما وإن القبيلة في حالة حرب مستمرة مع القبائل المجاورة، إما بمفردها أو بانضمامها مع أحلاف من القبائل ضد أحلاف أخرى، كما هو سائد في تلك الفترة، لكنه لم يرغب في التسرع في هذا الأمر، بل اكتفى بمنزلته المرتفعة بين أفراد القبيلة كفارس مغوار، وصاحب رأي سديد، وابن لرئيس القبيلة السابق، وابن أخ للزعيم الحالي وهي بلا شك منزلة مرتفعة - وإن لم تقنعه - خصوصًا إذا أضيفت إلى ما يتصف به من شخصية قيادية محببة.

تلك النوايا المبيتة في قلب عمير قابلها شعور مماثل دب إلى قلب عرار، الذي يرى أن هذا البروز الذي حظي به عمير ما هو إلا مقدمات، وإرهاصات واضحة لانتقال المشيخة إليه (عمير) بعد وفاة (شهوان)، أو ربما حتى وهو لا يزال موجوداً.

مكائد عرار ضد عمير :

بدأ عرار يخطط للحط من قيمة عمير ، ووصمه بأي نقيصة لكن كيف وهو لا يتمتع بهذه المقدرة ، على كل حال بدأ الشيخ الوقور شهوان يتحسس ملامح الجفوة بين الشابين عمير وعرار ، وكثيرا ما يعنف ابنه على ما يفعله ويؤنبه ، حتى أنه ذات مرة أفصح إلى زوجته (مضوَى) أم عرار بما رآه في منامه ، إذ رأى عراراً قد جمع عمامته وعمامة أخيه راشد وأضرم فيهما النار ، وإن تفسير هذا الحلم ربما يكون شقاق بين العائلتين ، يكون عرار سببه ، إلا أن (مضوى)[1] ثارت ورفضت أن يكون هذا هو شعور زوجها تجاه ابنه عرار الزعيم المنتظر للقبيلة ، وطلبت منه أن يكف عن مثل هذا ، وأن يحب ابنه ويشجعه ويهيؤه للزعامة ، بدلا من تعنيفه وتأنيبه ، فهو - في نظرها - يملك كل مقومات الرئاسة ، وارتجلت بحماس وثورة الأبيات التالية :

---

(١) أم عرار.

ألا يا ولدي يوم أنا حامل به
لكن شيهان بكبدي مخامر (١)
عرار سبعة أشبار ضحّى يوم جبته
وعقب شهرين إلا وبالمشي ساير (٢)
عرار من عقب أربع ضم عقله
وبالخامسة تفضى عليه السراير (٣)

---

(١) تريد أن تعبر بهذا عن تميزه عن الآخرين فتذكر انه حتى عندما كان جنيناً في بطنها فإنها كانت تحس باحساسات غريبة ليست كالمعتاد، فالألم الذي يعاودها ببطنها شديد جداً كما لو كان بداخلها صقر جارح يتحرك بمخالبه الحادة ومنقاره الفتاك، شيهان : من أنواع الصقور، مخامر : مختبيء.

(٢) بهذا تريد أن تعبر (تجاوزاً) عن تميزه بأن طوله عندما ولد يبلغ سبعة أشبار (١٧٠ سم) وأنه تمكن من المشي بعد شهرين فقط من ولادته.

(٣) وهذا أيضا مبالغة ظاهرة تريد بها أن تثبت لوالد عرار أن ابنه راجح العقل فتقول ان عقله اكتمل بعد أن بلغ أربع سنوات من عمره أما عندما بلغ الخامسة فإن الرجال تقصده لتقتبس من رأيه وتستشيره.

لكن ذباب السيف من فوق متنه

جناح نسر بالفضاء الشرح طاير[1]

واليا احترك من مجلس صوب مجلس

له العذارى فتحن الغراير[2]

فلكي تبرهن لزوجها وتؤكد ما قالت ادعت في البيت الأول أنه عندما كان جنينا فهو شيء مغاير لأمثاله، وإنها أحست أثناء الحمل به بأشياء غريبة غير معتادة، كناية عن تميّزه بشيء خارق، وفي البيتين

(١) بهذا تعبر عن فروسيته وشجاعته ومدى جاهزيته باستمرار للحرب وحمله للسلاح المتميز الفتاك.

(٢) تريد أن تؤكد بهذا حصوله على القسط الوافر من حسن الطلعة مما حدا بالفتيات أن يتعلقن به لفرط حسن ملامحه ومتابعة تحركه، ففي هذه الأبيات الخمسة تريد أن تثبت لشهوان أن ابنه قد جمع المجد من أطرافه من رجاحة العقل والفروسية وحسن الطلعة وأنه المؤهل الوحيد للزعامة المنتظره كخليفة لوالده، وتريد من والده أن ينزع من هاجسه ملاحظات النقص عند ولده.

الثاني والثالث تريد أن تبرهن على رجاحة عقله وذكائه المفرط، فادعت - تجاوزًا - أنّ الناس تقتبس من رأيه وهو في الخامسة من عمره، وفي البيت الرابع تتحدث عن شجاعته وتأهبه دائما، أما البيت الخامس فعن مدى تعلّق الفتيات به إلى درجة غير معتادة مما يؤكد تميزه وشهرته.

وهي بهذه الأبيات تريد أن تقنع زوجها بأن ابنه قد جمع المجد من أطرافه، وإنه الوريث المهيأ تمامًا لزعامة القبيلة.

كما ذكرت بدأت الكراهية تدب بين ابني العم، وإن كان عمير أقدر على كتم مشاعره، من عرار، لكن أي منهما لم يرغب أن يظهر المنافسة للآخر علنا، تحاشيا لأمور خطيرة، وإنما بدأ التنافس أول ما بدأ بحياكة المكائد (المقالب)، والتي تبدو في ظاهرها وكأنها ضرب من المزاح، لكنها في حقيقة الأمر حقد أسود، إذ أن كلاً منهما يريد أن يحط من قدر الآخر، ولو بالمزاح والمداعبة، ولمّا كان عرار هو المتضرر أو هو المتخوف من الضرر وهو الأكثر حقدًا، والأقل

حكمة، فهو دائما البادئ، وكان كلما أراد أن يحيك مكيدة يدرسها بعناية - حسب مقدرته - لكن دهاء عمير وبديهته الحاضرة دائما تجهض كل مكيدة، لا بل تردها عكسية على عرار، ومن المكائد التي حصلت بينهما :

المكيدة الأولى:

كان عمير قصيراً خلقته أقرب إلى الدمامة، أما عراراً فكان طويلاً، سمح الطلعة، وذات يوم عندما كان الإثنان عند إبلهم في الفلاة يحرسونها مع مرافقيهم من الرعاة والعبيد . . وبعد إعداد الغداء وغرفه في الصحن أراد عرار (الطويل) أن يكيد لعمير (القصير)، فأمر الطبّاخ أن يضع الصحن فوق فرع شجيرة (سمره) طويلة إلى حد ما بحيث أن الشخص القصير لا يتمكن من تناول الطعام من الصحن الذي فوقها، فدعي الجميع وحضروا، وظنّ عمير أن الصحن سيوضع على الأرض بعد اكتمال الحضور . . لكنه فوجيء بقول عرار : (حيّاكم الله كلوا يا طوال واقعدوا يا قصار)،

يريد بهذا أن يعيب عميراً (القصير)، فلما هم بعض طوال القامة بالإقتراب من الصحن والأكل منه فإذا بعمير يسبقهم ويضرب جذع الشجيرة بسيفه بعد أن أمسك بعرى الصحن قبل أن يسقط يساعده عبده، وأنزله إلى الأرض وهو يقول : (بل كلوا يا قصار مع الطوال)، فأعجب الجميع بتصرفه، واستحسنوا فعلته، فبهت عراراً واغتم وامتعض، بعد أن رأى إعجاب الحاضرين بتصرف عمير، وانتقاصهم بل واستهجانهم لتصرف عرار، - حتى طوال القامة منهم - لكنه كظم غيضه، وأسرّ في نفسه الإصرار على حبك المزيد من المكائد، والإستمرار في العمل على النيل من عمير.

المكيدة الثانية:

فكر عرار في مكيدة جديدة، إذ أخذ يدرّب حصانه (مشهور) على قفز مجرى سيل، بروضة معشبة، حتى تدرّب الحصان على قفزه، وأجاد تكرار التجاوز، إلا أن عميراً كان يراقبه، وإذا عاد عرار من هذه الروضة عقبه إليها ودرّب - هو الآخر - حصانه على قفز

نفس المجرى، حتى تدرّب أيضًا، - ومن غير أن يره أحد - وبعد أيام قليلة كانت تلك الروضة هي وجهة الرعاة بمواشيهم ومن معهم من الفرسان - بمن فيهم عمير وعرار - ، وفي ضحى أول يوم وصلوا فيه اقترح عرار على الحضور من الأعوان والفرسان أن يكون بينه وبين عمير مباراة لاجتياز هذا المجرى، والشخص الذي يخفق يكون غداء الجميع على حسابه، وليس غداءً عاديًا، بل يذبح ناقة من ابله، ثم أردف قائلاً : إذا لم (يذل)[1] عمير، لكن عميراً قاطعه مبديًا الموافقة التامة، فقال عرار تبدأ أنت أم أنا قال بل تبدأ أنت، فاجتاز عرار وابتهج بذلك، ثم تبعه عمير بحصانه، فلما هم حصانه بالقفز عنَّ رقبته حتى تعثر وسط المجرى، وعلى الفور أمر أحد عبيده بذبح الناقة الفلانية، وبعد أن نفّذَ العبد أمر سيده وتأكد عمير من ذبحها لبس درعه وأخذ الطاس والرمح وعدّة المقاتل كلها - بثقلها - ثم ركب حصانه متجهًا إلى مجرى السيل إيّاه، فقفزه واجتازه أمام

(١) يتخاذل ويحجم ويمتنع.

دهشة الجميع وحيرتهم، وسألوه عن سبب تصرفه فقال لهم لو اجتزت أنا كما اجتاز عرار لأكلتم غداءكم بدون لحم، فلا هو ذبح ناقة ولا أنا ذبحت ناقة، أما الآن وقد اطمأننت إلى تجهيز الغداء فلا داعي لأن أعنّ حصاني عن القفز، خصوصًا بعدما رأيت حرص عرار الشديد على إبقاء ناقته حيّة، فأعجبوا به أيما إعجاب، وكبر في أعينهم، وهلّلوا بالثناء عليه، وكيل المديح له، والإشادة به، واستصغروا عرارًا فزاد همّه وغمّه وحقده، ومع ذلك لا يزال مستمرًا على محاولة انتقاص عمير.

المكيدة الثالثة:

كانت (ميثا بنت شهوان) أخت عرار زوجة لعمير، بينما كانت (عميره) أخت عمير زوجة لعرار، فذهب عرار إلى منزل أخته (ميثا) زوجة عمير لزيارتها، فوجد أن الصحفة (الصحن المعد لقرى الضيوف) قديمة وغير برّاقة، كما هي حال (صحفته) المشتراة حديثا، فقال لعمير - من باب التنقيص لا من باب الإستفسار - لماذا

(صحفتكم) بهذه الحال، متهالكة وقديمة، فرد عليه عمير فوراً : أبداً هي أحسن من (صحفتكم) بكثير، فاستغرب عرار، وقال كيف وهي جديدة وبرّاقة واشتريناها حديثًا، لكن عميراً أصرّ على مقولته، وأردف قائلاً : إذا لم تقبل كلامي فرأي الجماعة هو الحكم بيني وبينك، عندما يجتمعون غداً في الصباح الباكر، بمجلس الأمير (شهوان)، فقبل عرار الإحتكام إلى كبار القوم، كما اقترح عمير لاطمئنانه بأن الحكم سيكون إلى جانبه، فلما أقبل الفجر أيقظ عمير عبيده وأمرهم بتجهيز خروف سمين، وليكن جاهزاً في الصباح الباكر، فقام الخدم وأشعلوا النار والمصباح استعداداً لتنفيذ أمر سيدهم، فشاهدهم عرار وظن أنهم استيقظوا لينظفوا ويدهنوا (الصحفة)، فأمر خدمه بذلك، فأخذوا ينظفونها ويدهنونها بالسمن الملون بمادة صفراء لامعة، وهو لون يحولها إلى الأصفر المحْمَرّ، مع أنها جديدة . . حضر كبار القوم إلى مجلس (شهوان) كالمتبع صباحا، ومن ضمنهم عمير وعرار، وعلى الفور فاتح عرار عميراً بأن يحضر (صحفته) كما اتفقا، فقال حسنًا، فجيء بصحفة عرار، تلك

المزركشة الجميلة، ثم جيء بصحفة عمير، وقد وضع بها الخروف المطبوخ والحنطة اللذيذة، فأكلوا حتى شبعوا، ثم أمر عمير أحد عبيده بأن يستفتي القوم بصوت جهوري عن أيهما أحسن، فتكلموا بصوت واحد (لا بل صحفة عمير أحسن)، فنال منه الإحباط ما نال، وزاد همّه وحقده، ورغم ذلك صمّم على الإستمرار في المواجهة على هذا المنوال، علّه يظفر به ولو لمرّة واحدة، ويتمكن من النيل منه، إلا أن هذا (المزاح) بين الإثنين أخذ يزداد ثقلاً.

المكيدة الرابعة:

في ذات يوم كان عمير معلقًا جوخته الحمراء الثمينة فوق طنب الخيمة فأخذ عرار بالملقط جمرة من النار وكوى بها الجوخة عدّة مرات، وكان عمير مضطجعًا ومتظاهراً بالنوم، لكنه يراقبه، ولم يمنعه ولم يحرك ساكنًا، بل تركه ينهي فعلته ويذهب، وكان يريد بفعلته هذه أن يحرج عميراً ليضطره إلى أحد أمرين : إما أن يخرج للقوم بدون جوخة - وهذا أمر مخالف للعرف المعتاد - وإما أن

يخرج بالجوخة وهي مشوهة بتلك الحروق، لكن عميراً الداهية لمّا غادر عرار المكان قام على الفور وأحضر مرقة لحم حارة جداً ودعا حصان عرار (مشهور) باسمه والذي تعوّد على أن يسقى مرقًا باردًا لا حارًا محرقًا، فدنا الحصان من عمير راغبًا في المرقة عندما شمّ رائحتها، فلما هم بالشرب غمس أنف وفم الحصان في الإناء وبه المرق الحار الذي أحدث له حروقًا وتمزقًا وتورما في شفته، وكشرت أنيابه كأنه يضحك، دون أن يعلم صاحبه شيئًا، وفي الصباح وعندما اجتمع القوم عند رئيس القبيلة كالمعتاد حضر عمير بجوخته، وما بها من آثار الحروق، فسلّم وجلس في مجلسه المعتاد بجانب الأمير، ولاحظ الجميع ما حدث للجوخة، إلا أن هيبته منعتهم من الإستفسار، أما عرار فقد ظن أن الخطة نجحت، ووجدها فرصة لإبداء الملاحظة أمام مرأى من الحضور، فقال بتهكم : ما الذي حدث يا عمير؟ هل ساعدت الطباخ البارحة أم ساعدت الصانع؟ فقال بتجاهل : ما الأمر؟ قال عرار انظر جوختك لقد لعبت بها لنار، أما ترى القوم يضحكون منذ قدومك إلى المجلس، فقال ببرود :

الآن علمت إن هذا هو الذي أضحك الحصان (مشهور)، فالتفت الجميع إليه وإذا به مكشر عن أنيابه، وفي حالة لا تسر، ويستحق من فعل به هذا القتل، لكن ماذا يفعل عرار وهو البادىء، والبادىء أظلم، كما أن الحاضرين - بمن فيهم الأمير شهوان - وقفوا في وجهه عندما رأوه غاضبًا، قائلين الفعلان متماثلان، وعليك أن تسكت يا عرار.

لم يقف الحسد والبغض والغيرة بين الإثنين عند حد بل تزايد مع مرور الأيام، وأخذت دائرة النزاع والمنافسة تتسع، لتشمل (عقيلا) أخا عمير و (فارسا) أخا عرار، وهو أخ عمير من أمه، التي تزوجها عمّه شهوان، بعد وفاة أبيه، وأنجبت (فارسًا بن شهوان) ثم توفيت، بل والأدهى من ذلك أن بوادر الإنقسام بين أفراد القبيلة بدأت تظهر (داخليا) وإن كانت السمة الخارجية أن القبيلة وحدة واحدة، لكنه مع ذلك أمر بـدأ يؤرق الجميـع، خاصـة الأمير شهوان بن ضغيم.

قرار الهجرة بعد جدب الأرض

بعد أن تتابعت السنوات العجاف المجدبة بدأت بعض القبائل المجاورة تفكر بالهجرة عن المنطقة، ليحافظوا على ما بقي من مواشيهم حيّة، ويستطيعوا أن يوفِّروا القوت لهم ولأولادهم، فهمّوا بالإنتجاع شمالاً، حيث الكلأ والعشب والماء الوفير، كما تذكر الركبان إذ أنشد شهوان قصيدة طويلة مطلعها:

وادي من الأمحال عاف آل ضيغـــم
وياما جنينـــا مـن وراه الفـوايـــد[1]
يـا ما زمـا نـبتـه وحـارت مـحـاجـره
ويـامـا ارتـكـا وقـت الـسـنين الـشـدايـد[2]

---

(١) يقصد وادي تثليث، اذ صور شحه وجدبه بأنه كره منه لسكانه آل ضيغم، ورغم ذلك يلتمس له العذر فيقول انه وإن أمحل هذه السنوات فلطالما حصلت منه الفوائد والخيرات الجمة.

(٢) يستطرد في الثناء على الوادي (مضاربهم) فيقول كم من السنين اكتسى بالعشب أشكالاً وألوانًا وحار الماء أياماً وأياماً في منعطفاته.

من أسفله نجد الجماد يحدنا
ومعلقٍ بأقصى القعوم الفرايد[1]

وفعلا قرّروا الرحيل شمالاً، ولكنها رحلة قاسية عبر صحراء جرداء، والمواشي هزيلة، وقد رسم شاعرهم خط سيرهم في قصيدة طويلة منها :

أنا شاب راسي من مناظر ظعاين
كنها عليل مقتفية أنواد[2]

---

(١) يحدد منطقة سكناهم بوادي تثليث التي أسلفها نجد الجماد وأعلاه في أعالي السروات.

(٢) يصف حالة المواشي السيئة وما وصلت إليه من الضعف والهزال من جراء ندرة الكلأ والعشب فيشبهها وهي تسير بالمريض العليل الذي يمشي ويتحامل على نفسه مع ما يعانيه من المرض والضعف وكل ما هب الهوى تمايل وأوشك على السقوط، فيقول أن هذا جلب الهم له والذي في نظره يقلب شعر الرأس شيباً.

ليل وردنا العقله الجاهلية
مياحها ما سمع له بمناد[1]

ليل وردنا العد عد آل زايد
عد إلى خيضت جمامة زاد[2]

وليل بالقمرا وليل بالركا
وليل في حزم الحصاة شداد[3]

---

(١) **العقله الجاهلية** : هي آبار قديمة لا تزال آثارها باقية تقع جنوب بلد الخرمه، وهذه البئر مميزة عن الآبار التي حولها بعمقها وسعتها، ويؤكد على أنها عمقية لدرجة أن المياح الذي ينزل إلى أسفلها لا يسمع صوته عندما ينادي.

(٢) هنا يذكر اسم أحد الموارد واسمه (عد آل زايد) ويصفه بغزارة الماء وأن المتح لا ينقص من مستوى الماء بل يزيده وهو في الحقيقة لا يزيد وإنما كناية عن الثبات وعدم النقص مهما غرف منه.

(٣) ذكر هنا موردين الأول (القمرى) وهذا المورد في وادي القمرى المعروف بهذا الإسم قديمًا وحديثًا، ويقع في جنوبي محافظة القويعيه وقد حدده الهجري في هذا المكان جنوبا من جبل صالحه ومخترقاً جبال مناجل وينتهي إلى رمل الدبيل.
=

وليل وردنـــا ما ســـل ومويســـل

وجيــــه المغـــارف كنهـــن جداد[1]

= أما المورد الثاني فيقع في وادي الركا ووادي الركا واد عظيم يحف بالجهة الجنوبية لمحافظة القويعية يصب فيه كثير من الأودية ويصب وادي الركا في وادي برك في محافظة حوطة بني تميم.

وذكر في البيت أيضا موضعا وهو (الحصاة) وتقع أيضا جنوب محافظة القويعية وكانت قديما تسمى الحصاء قال ابن بليهد في صحيح الأخبار (الحصاء: لأن جبالها خالية من النبات فإن كل شيء خال من النبات يقال له أحص وهي في ديار بكر بن كلاب وفيها يقول مقل بن ريحان:

جلبنا من الحصاء كـل طمـرة

مشذبـــة فرجـاء كالجـذع جيـدها

وقال عطا حين رثا أخاه بقصيدة طويلة:

اتته على الحصاء تهوي وامسكت

مصارع حمـى تصرعنـــه وموموهـــا

فيا حبذا الحصاء والبرق والعـلا

وريـــح اتانا من هنـاك نسيمــــهـــا

ويذكر الضيغمي (شهوان) ان حزم الحصاة شداد أي أن أرضها صلبة تحفي الماشية.

(١) **ماسل ومويسل**: ماءان في الهضب جنوب محافظة القويعيه. =

وليلين في السرداح لابله الحيا
هشيمة وقاف وحمضه باد(1)

= فماسل عد ماء يقع بين تثليث والحصاء (حصاة قحطان) قال ياقوت في (معجم البلدان) إنه ماء في ديار بني عقيل قال الشاعر لبيد بن ربيعه :

لو كان شيء خالد لتواءلت

عصماء مؤلفه ضواحي مأسل

وقال الباحث سعد بن جنيدل في (معجم عالية نجد) أن ماسل اسم يطلق على الماء والجبل الذي يقع فيه وهو في جبال حمر ويقع مويسل شماله ودارة مأسل غربه .

أما مويسل فيقع شمال ماسل ، قال راجز من بني عقيل :

ظلت على مويسل حيامي

ظلت عليه تعلل الرماما

ومويسل ماء عذب حدده ياقوت في معجم البلدان بأنه يقع في ديار بني عقيل ، وقال شهوان الضيغمي في عجز البيت لما ذكر ماسلاً ومويسلاً وأن وجوه المغارف كأنها جديدة ، والمغارف هي أواني معدنية يغرف بها المياح من قعر البئر لملء الدلو ، فإذا كان الماء بين الصخور ضحلاً فإن هذه الأواني المعدنية من أثر الإحتكاك تصبح كأنها جديدة .

(1) السرداح واد بمحافظة القويعية يتجه سيله جنوبا حتى يلتقي بوادي السره ويقع في منتصف الطريق بين مدينة القويعيه والرويضه ويشير إلى حالة الجدب في ذلك الوادي .

وطيتـــها وادي القويـــع تعمـــد
تمنيتهـــا لولا الهيـــام بـــلاد[1]

وليلين في الحدباء الكسيف جنابها
شلنا وورانا فـــي المراح ســـواد[2]

وردنا لنا عـــد يسمـــى ســـديره
صدرنا حيـــام والشـــراب وجـــاد

الله لا يسقي جنـــاب وشيقـــر
باع العذارى صوغهن بـــزاد[3]

(١) يذكر أنهم مروا على وادي القويع وهو وادي لا يزال يعرف بهذا الإسم وتقع مدينة القويعية مركز المحافظة في أسفله ويبدي في الشطر الثاني إعجابه بهذه المنطقة وأنه كاد أن يتمناها لولا أن الآبار بها معرضة لسقوط جوانبها وهو ما عبر عنه بـ (الهيام) وهذا عيب تتصف به بعض طبقات التربة خاصة الطبقات الطينية.

(٢) الحدبا : أرض مسويه تقع غربا من نفوذ السر وبها تقع قاره سوفه المشهوره وذكرها الأصفهاني في كتابه (بلاد العرب) (باسم الهلبا، وكانت تعرف باسم (حائل) وأشار إليها ياقوت في (معجم البلدان) بهذا الإسم.

(٢) ينحى باللائمة على بلده أوشيقر وغلاء المعيشة بها على غير ما كان يتوقع.

شدّوا الرحال واتجهوا شمالاً جميعًا، ولكن القلوب متفرقة، والكراهية تزداد، بين ابني العم، وأحيانا تصل إلى أعوان الطرفين أو أنصارهم من القبيلة، حيث أن أفرادها على ضوء نزاع ابني العم عمير وعرار انقسموا كل يناصر صاحبه، ويقف بجانبه، لكن الجميع لا يزالون مجتمعين تحت إمرة الأمير (شهوان)، وأثناء الرحلة لم يهدأ النزاع، بل حصل الخلاف على كل صغيرة وكبيرة، في الإتجاه، في الورود، في المبيت، وفي كل شيء، هذا الإختلاف الذي تزداد حدّته مع كل يوم جديد، بل إن كلاً منهما يتعمّد مناقضة ومعارضة الآخر، وهذا التصرف، ربما بحماقة من عرار، ودهاء من عمير، الذي قرّر الإنفصال بعد أن تأكد أن معه أكثر من نصف القبيلة.

واصلوا السير وهم على هذه الحدّة من الإختلاف والتنافر، إلى أن وصلوا وادي الرمّة[1] فنادى المنادي للقوم بأن ينزلوا، إلا أن

(١) وادي تتصل منابعه بمناطق المدينة المنورة ويصب فيما بين البصرة والكويت، ويرجح بعض الباحثين الجغرافيين أنه كان نهر جاري قديما ويصب في الخليج العربي (ولا زال يعرف بهذا الإسم إلى الآن)، قال الراجز : =

عميراً اعترض بشدّة، مدعيًا بأن هذا ما هو إلا أول الكلأ، ولا بد من المواصلة شمالاً، حتى الوصول إلى حيث منطقة الكلأ الوافر، لكن كيف وقد نادى المنادي بإيحاء من عرار وأمر من الأمير شهوان.

= **إني اهتديـــت والفجـــاح مظلمـــه**
لراكبـــين نازلـــين بالرمـــه

(صحيح الأخبار - محمد بن بليهد).

إنقسام القبيلة إلى قسمين

بعد هذا الإختلاف قرّر عمير الإنفصال ومواصلة السير شمالاً، وتبعه من تبعه من أفراد القبيلة، إلى أن وصلوا إلى منطقة النباج (الأسياح)، فحلّوا بها، وكما هو معروف فإن المسافة بين وادي الرمة - مضارب شهوان ومن معه من أفراد القبيلة - غير بعيد من الأسياح[1] - مضارب عمير ومن معه من أفراد القبيلة، والمسافة بينهما نصف يوم للراحلة، ولم يكن شهوان وأبناؤه راضين أبدًا عن هذا الإنفصال الذي فرق القبيلة وأضعفها، وبه أصبح عميرٌ أميرًا مستقلاً عن عمّه شهوان، ومع هذا اضطروا للخضوع للأمر الواقع، وأظهروا عدم الإهتمام قائلين : من أرادنا حيّاه الله، ومن أراد مرافقة

(١) منطقة خصبة وفيره المياه تعرف قديماً باسم النباج شمال مدينة بريده بالقصيم وبها عيون ماء كانت تسيح فوق الأرض وهذا سبب تسميتها بالأسياح وتعرف قديما باسم (نباج ابن عامر) قال الهمداني في (صفة جزيرة العرب) "نباج بني عامر هي عيون تنتج الماء . . وأعلاها يواصل الجبلين أجا وسلمى بينهما مسيرة يومين.

عمير فتصحبه السلامة، لكن ما تلفظت به ألسنتهم غير ما كنّته قلوبهم، فكل من تبع عميراً - لا شك - دخل دائرة الغضب الشهوانية.

لكن تجاور الفريقين ووجود مناطق رعي مشتركة بينهما كان له أسوأ الأثر في إشعال جذوة المشاكل والخلافات والأحقاد، فكان الرعاة يتقابلون ويتخاصمون على الماء، والمرعى، وتحدث المناوشات بينهم باستمرار، والتي تصب الزيت على النار.

ومع أن عميراً وجماعته طالت شوكتهم وزادوا عزّاً وثراءً وهيبة مقابل انخفاض ذلك لدى شهوان وعرار وجماعتهم، إلا أن العلاقات بينهم أخذت تتأرجح بين الحدّة والركود المشوب بالحذر، وكان هذا الركود عندما يحدث يجدد الأمل لدى عقيل بن راشد - أخي عمير - في معاودة طلب يد معشوقته وابنة عمّه (سكوت) بنت شهوان التي انقطعت أثناء المناوشات الحادّة بعد التفرق، لكن عندما تهدأ الأمور يزداد أمله.

استمر الهدوء الحذر بين الفريقين مدّة لا بأس بها، مما حدا بالشاب عقيل أن يفاتح أخاه الأمير (عمير) في أمر زواجه من سكوت وأشار على أخيه الأمير أن يذهبا معًا لطلب يدها من والدها، لكن عميرًا المحنّك فضل أن يتريث، وأن تكون الخطوة الأولى للوصال هي إرسال أحد العبيد الأكفاء لجس النبض، ومعرفة رد الفعل، والإستئذان من الأمير (شهوان) لمجيء الأمير (عمير) وشقيقه عقيل، وإعلامه بمقصدهما، وهذا ما تم فعلاً، فقد أرسل عمير أحد العبيد الذي جاء بالرد الإيجابي من شهوان، وبمباركة بعض عقلاء القوم، ومنهم فارس بن شهوان، باعتراض شديد من قبل عرار، وبعض متطرفي القوم وبعد عودة العبد لأسياده وإخبارهم بالنتيجة الإيجابية فرحوا وابتهجوا واستبشروا خيراً.

زواج عقيل من سكوت

سار عمير وأخوه ومجموعة من الأعيان قاصدين مضارب شهوان وجماعته بوادي الرمّة، فاستقبلهم أحسن الإستقبال، واستضافهم وأكرمهم، وتمم مطلبهم بتزويج عقيل من ابنته سكوت، فرحلوا ومعهم العروس، عائدين إلى مضاربهم، وكان الجميع فرحين مستبشرين، على إعتبار أن هذه المصاهرة الجديدة هي فاتحة الخير للسلم والسلام، إلا أن هذه الأماني والتوقعات ذهبت أدراج الرياح، فالمناوشات والمنازعات بدأت تتجدّد بين الرعاة من الطرفين، وصل حدّها إلى تبادل القتلى بين الطرفين، فتأزمت العلاقة من جديد، الأمر الذي لم تستطع معه (سكوت) تحمّل العيش، وتسلوا عن أهلها، لا سيّما وهي تسمع كل يوم من الأخبار ما لا يسرها، فبقيت حزينة كئيبة منقبضة الأسارير باستمرار، ولم تصغ لنصائح أختها (ميثا) التي أشارت عليها بالصبر، ومواجهة الواقع، بالتجلد والشجاعة، ومزيد من التبصّر، وعند هذا لم يتمتع عقيل

بهذه الزوجة التي بقي لعدّة سنوات يتمنى ويترقب مجيئها، فضاق ذرعًا بالأمر، وهم بطلاقها وإرجاعها لأهلها، ظنًا منه أن أسباب إنقباضها وحزنها كرهًا له، إلا أنه فضلّ أن يتريث ويستشير عجوزًا من القوم، مجربة وذات حنكة، فقابلها وفاتحها في الأمر، فنصحته بالتريث، حتى يختبر زوجته، ليعرف هل هذا الإكتئاب المستمر كرهًا للزوج، وندمًا على الزواج أم لسبب آخر يزول بزوال ذلك المسبب، ونصحته بأن يكون تصرفه على ضوء النتيجة، فقال : كيف لي أن أعرف هذا، فرسمت له الخطة التي يستطيع بواسطتها أن يعرف الحقيقة، وهي أن يحضر ثعبانًا سامًا بعد أن يقتله ويضعه بجانبه بالفراش، وعند الصباح يتظاهر بأنه ميت في مرقده من جرّاء لدغة الثعبان، فإن اتبعت (سكوت) المراسم المعتادة وهي أن تصيح وتشق جيبها، وترتجل قصيدة، وتشيد بزوجها المتوفى، فهي تحبه، ويكون الإكتئاب لسبب آخر عارض، وإن سكتت ولم تفعل شيئًا من هذا القبيل فهي تكرهه، وعندها لابد من طلاقها وإرجاعها لأهلها.

بدأ عقيل في تنفيذ الخطّة، فأحضر الثعبان في ذات ليلة، بل واختار ليلة قرّرت القبيلة أن تنتجع صبيحتها إلى مكان قريب، كعادة البدو الرحّل، إلا أن عقيلا على غير عادته تأخر في نومه، ولم يجرؤ أحد علـى إيقاظـه، فلربما أنّه متعب في ليلته، ويريد أن يستريح قليلاً . . لكن الشمس أوشكت على الشروق، ولـم يبق خيمة لـم تطوَ، سوى خيام عقيل فذهبت زوجته لإيقاظه فوراً، لكنها وجدته لا يرد، ولا يتحرك، (يريدها أن تظنه ميتًا) وبجانبه ثعبان موحش، فصاحت قائلة: لقد لدغ عقيل ومات، وأخذت تنعى وتصيح وتولول، وتشق ثيابها إتباعًا للعادات السائدة، وارتجلت قصيدة طويلة منها :

البدو شدّو وانتوو برحيل

وسكوت ما ترجي عقيل يجي لها[1]

(١) البدو تقصد جماعتها القاطنة معهم أنهم شدوا أمتعتهم على رواحلهم وعزموا على الرحيل إلى منزل آخر كعادة البدو الرحل وتأسف لحالها وتتوجد بأنها لا تأمل أن يأتي عقيل ويأمر الخدم والنساء بجمع الأمتعة وحملها على الجمال كونه قد مات .

عليت كـــم مـهـرة عقـــت جريـــها

بعود القنــا والخيـل حامــي جفيلها[1]

كـم جادل شربت مــــن الحزن ما كفا

تشـوف فعلك ثـم يبـرد غليلـهـــا[2]

عليت يا حصــــن حصــــين لجارتــه

أخــو جارتـه وإن غاب عنهـا حليلها[3]

ما دور الـغـرات فـــي شـــق ثوبـها

ولا هــو بســـايلها ولا مستسيـلـها[4]

---

(١) بهذا تعدد محاسنه وتشير إلى شجاعته بأنه قد عاق العديد من خيول الأعداء برمحه أثناء المعارك عندما يحمى الوطيس.

(٢) وهذا من المدح والثناء عليه فتقول كم امرأة تلقت من الأحزان الكثير عند قتل أقاربها من قبل الأعداء فتظل مهمومة مغمومة لكن إذا رأت فعلك مع أولئك الأعداء وما يحصل لهم من القتل على يدك يزول همها وحزنها لاطمئنانها إلى أخذ الثأر.

(٣) تمتدح فيه عفته ووفاءه لجيرانه وأنه يعد بمثابة الأخ لجارته الوحيدة التي غاب عنها زوجها.

(٤) كناية عن عفته وترفعه عن هذه السفاسف حتى الحديث لا يطيله معها.

فتأكد عقيل من حب زوجته له، وقرر إبقاءها، لكنها عتبت عليه في تصرفه، حتى أقنعها بمقصده، وأن قدرها زاد، وأنها كبرت في عينيه أمام القوم . . استمرت المناوشات بينهم . . تلك المناوشات التي تصل أحيانًا إلى حد الغارة الجماعية، وكانت سجالاً، تضرر منها كلا الطرفين ومع أن جماعة عمير أكثر من جماعة شهوان . . إلا أن هناك أمران أزعجاه، واستاء منهما، وكثيرًا ما تميل الكفة لصالح قوم عرار وشهوان بسببهما، وهما :

الأول : حصان عرار (مشهور) الذي يَلحق ولا يُلحق، وهو دائمًا مفتاح النصر لعرار وقومه، وورقتهم الرابحة.

والأمر الثاني : هو مجموعة صغيرة دخلت بالحلف مع شهوان وجماعته - كعادة القبائل الصغيرة في ذلك الوقت - يقال لهم (العُمّار)، لكنهم مع قلتهم غاية في الشجاعة والإقدام والفروسية، وفكّر في حيلةٍ لمواجهة هذين الأمرين، فأفضى بهذه المشكلة إلى أخته (عميره) زوجةَ عرار، عن طريق رسول (سرّي)، وطلب منها سرعة

المساعده، فردت الجواب مع الرسول قائلة :

بالنسبة لأمر الحصان فسأرتب التقائه مع بعض خيل أخي في المرعى، لتلد خيلاً مماثلة له (مماثلة لمشهور)، وما على عمير إلا أن يحضر عشراً من الخيل، خلسة في إحدى الليالي، وأنا أدبر الأمر.

أما موضوع العمار فسأحبك لهم مكيدة تورد الشقاق، وتحدث الفرقة بينهم وبين عرار.

خطط عميرة لمؤازرة أخيها وقومه

بقيت عميرة في انتظار عمير للمجيء بالخيل، إذ لـم يرغب أن ينيب أحداً عنه في هذه المهمة الخطرة والهامة جداً، فكيف يقدم على بعث عشر من الخيل الأصايل ويرافقها أحد غيره، قد لا يستطيع المحافظة عليها، فقرر هو خوض هذه المغامرة بنفسه، مع قلّة منتقاه من فرسان القوم المميَّزين، سار عمير هو ورفاقه وخيله العشر قاصدين مضارب عرار وجماعته، فأبقى الخيل والمرافقين في البريّة، في مكان آمن، بعيداً عن أنظار الناس، وأخذ يتسلل ليلاً حتى يكون على مقربة من خيمة أخته عميره، ثم يعوي كعواء الذيب، علّها تنتبه اليه، إلا أن أصوات السباع معتادة كل ليلة، ومضى ليلتان لم تنتبه أخته لهذا الصوت، وفي الليلة الثالثة لفت نظر عميرة تكرار الصوت، من مكان واحد، وعلى مدى ثلاث ليال متتالية، فعرفت أنه صوت أخيها، فطلبت من إحدى الخادمات أن تتولى هي (عميره) طحن الحنطة على الرحى، للترويح عن النفس وكانت الطاحنات

يغنين إما من الأشعار التي يحفظنها أو بنظم قصائد جديدة مرتجلة، فبدأت تطحن الحب وتنشد موجهة كلامها إلى أخيها الذكي اللمّاح وتقول :

يا سبع ياللي طـــول الأيام بأرضنا
تجـــر العــوا يا سبـــع كنــك ذيب[(١)]
إن كـان جيعان فعنـــدي سحايـــح
وإن كـان ضميـــان فسعن حليب[(٢)]
وإن كـــان تبـغي المـال فالمـال عازب
المـــال بالدهنـــا وراك عزيـــب[(٣)]

---

(١) السبع تطلق على مجموعة الحيوانات المفترسة كالأسد والنمر والذئب والضبع، وبهذا تريد أن يفهمها عمير ويفهم مقصدها.

(٢) تقصد بهذا أن مطلبك سيحصل مهما يكن فإن كنت جائعا أو عطشانا فلدي الأكل والشرب وإن كنت تسأل عن المواشي للإغارة عليها فهذا موقعها.

(٣) المال : المواشي، عازب : غائب، والدهناء : صحراء رملية شرق المملكة معروفة.

وبعد أن سمع القصيدة سكت عن العواء، فتأكدت بما لا يدع مجالاً للشك أنه أخوها، وهو عرف أنها شعرت بوجوده، وحددت مكانه، وإنها ستأتيه، وفعلاً عندما هجع الحي تسللت إليه وقابلته، ورسمت الخطة معه، بأن يكون الليلة القادمة على مشارف (روضة البعج)[1] ، لتأتي إليه بالحصان، وعليه أن يحترز، ولا ينزل بالخيل إلى الروضة، إلا بعد التأكد من مجيء عميره والحصان (مشهور)، وحددت له مكانًا معينًا بيّنًا وافترقا، وعليه إذا لم تستطع الحضور الليلة القادمة أن ينتظرها بالليلة التي بعدها، وكانت قد حبكت الحيلة، ساعدها على ذلك معرفتها التامة بنفسية زوجها عرار صاحب الحصان، وكان (مشهور) يعامل معاملة خاصة فلا يقوم على خدمته خدم أو عبيد كبقية الخيل، بل كان عرار يتولى خدمته بنفسه، وأحيانًا ينيب زوجته عميره في ذلك.

فعند غروب شمس الليلة التي ضربت الموعد مع أخيها فيها أمر

(١) روضة تقع شمال وادي الرمة قرب مدينة عنيزه تعرف حاليا بروضه البعجاء.

عرار زوجته عميره - كعادته - بأن تربط (مشهور) في مكانه المعتاد، وتقدم له طعامه، فأخذت على غير العادة تجره بعنف، وتنهره قائلة (عساك ما تعشى في روضة البعج)، فلما سمع عرار كلامها وكان قد أغضبه فعلها بالحصان، هبَّ قائمًا فقال هيه . . ماذا قلت . . ما يعشى في روضة البعج؟ والله جزاءً لفعلك وقولك سيعشى فيها هذه الليلة، وأنت التي ستذهبين به رغمًا عن أنفك، فطأطأت رأسها، وتظاهرت بخضوعها الإجباري للأمر الواقع، وتباكت وهي تقول في قرارة نفسها (لقد نجحت الخطة) . . المهم ذهبت بالحصان في تلك الليلة إلى روضة البعج حيث ينتظرها أخوها عمير وخيله، وعند حلول منتصف الليل كان (مشهور) قد (واقع) ستًا من الخيل، ثم عادت بالحصان، وعاد أخوها بخيله إلى مضارب جماعته، وفي الصباح عندما رأى (عرار) وضع الحصان ارتاب، وظن أن في الأمر شيئًا، لكنه على كل حال لم يتوقع أن يكون بهذا الحجم ومع أنه كرر الإرتياب بقوله لعميره : ما بال الحصان بطنه بطن الشبعان وعينه عين الجيعان؟ لكنها بذكائها وثباتها وحسن تصرفها بدّدت شكوكه وأقنعته

بأن الحصان عادي تمامًا.

هذا ما كان من أمر الحصان، أما ما كان من أمر جماعة (العمار) حلفاء عرار أولئك القوم الأشاوس الذين طلب عمير من أخته أن تخلِّصه منهم، لينقضوا تحالفهم مع عرار وقومه، وقد وعدت هي بذلك، وفعلاً أوفت بوعدها، ودبّرت مكيدة محبوكة لتحقيق هذا الغرض، فقد أرسلت أحد عبيدها المخلصين وأمرته أن يقول لزعيم (العمار) بأنه سمع عراراً عدّة مرّات يردد (نحن لا نريد العمار إلا لنشاهد جمال بناتهم وليس أكثر).

وهذه بدعة وحيلة من عميره، فذهب العبد وقالها لكبير العمار، كما علمته سيدته (عميره)، بل وكما أشارت عليه، قال له إذا أردت أن تتأكد من ذلك فعليك أن تظهر لعرار عزمكم على الرحيل، فإذا أخبرته عصراً فسينشد ليلاً على ربابته كل ما يدور بخاطره، ويمكنك أن تتأكد من كلمات القصيدة عمّا يدور بخاطر عرار، عندما ترسل مرسولاً سريًا يتنصت عليه، ويعود إليك بالخبر،

فوافق زعيم العمار على ذلك بعد أن أقنعه العبد على تطبيق الخطة (الإختبارية)، فذهب إلى عرار واستأذنه بالرحيل فتأثر عرار كثيراً من ساعتها، وأتت إليه عميره متسائلة عما كدّر خاطره وتظاهرت بأنها لا تعلم شيئًا، وذكر لها أن العمار استأذنوا ليرحلوا وهم ساعده الأيمن، وهذا نقيصة ما بعدها نقصية، فقالت: (العمار) مع شدتهم وقوتهم وفروسيتهم تؤثر عليهم نساؤهم كثيراً، وعليك أن تنشد قصيدة غزلية تمدح بها نساءهم وتشيد بجمالهن الباهر، وتطلب منهن الشفاعة لدى رجالهن بالبقاء، فصدّق حيلتها الماكرة، وعند منتصف الليل تناول ربابته، ونأى في مكانه المعتاد، غير بعيد عن المضارب، وأنشد قصيدة طويلة منها:

على الزمل غزلان رفاع جدودها
موريّات طراد الهوى كل كايد(١)

(١) يقصد بذلك بنات (العمار) وانهن جميلات كالغزلان وذوات نسب عال وتصور أنه يشاهدهن عندما يرحلن غدا فوق ظهور الإبل ومن فرط جمالهن يجلبن المتاعب للعشاق.

يا طول ما واعدتهن واخلفني

ويا طول ما صادفتهن بالوعايد[1]

ويا طول ما تلّن ملوى عمامتي

ويا طول ما تليتهن بالقلايد

يا عين هاتي ما ذخرتي ما البكا

عليك البكاء وانا على القصايد[2]

وكان زعيم العمار قد أرسل مرسولا سريًا يتصنت على عرار ويخبره بما قال، فلما عاد الرسول وتلا النص الذي سمعه على زعيم العمار صدق بما لا يدع مجالاً للشك الوشاية، وعزم فعلاً على الرحيل، وبهذا انطلت الحيلة ورحلوا وهم يلعنون عراراً وجماعته، ويتأسفون على الأيام التي قضوها معهم.

---

(١) يتحدث عنهن ويتغزل بهن ويصفهن بالجمال.

(٢) يتوجد على العمار ويخاطب عينه بأن تجود بكل ما لديها من الدموع والبكاء وأنه سيستمر وينشد ويبكي إظهارا للحزن بعد رحيلهم.

وبهذا تكون عميره قد أوفت بوعدها لأخيها، فالخيل الست التي (واقعها) الحصان أنجبت ستًا أصايل، يماثلن أباهن (مشهور)، والعمار حدث لهم ما حدث، وانفصلوا عن عرار، وهذا كافٍ لإمالة الكفّة لصالح عمير في الحروب والمواجهات مع جماعة شهوان.

المهم أن المناوشات والمنازعات لم تهدأ بين الطرفين، والمهار الست بنات (مشهور) بدأت تدخل ساحة القتال، والعمار رحلوا عن شهوان وعرار وجماعتهم، وفي كل مرّة تميل الكفة لصالح عمير، أما عرار عندما بدأ يشاهد تلك المهرات الأصايل المشابهات لمشهور في جريه وشكله، تنبه إلى شكوكه قبل أعوام قليلة عندما أجبر عميره أن تذهب (لتعشّي)[1] الحصان في روضة البعج، وأيقن أنها دبرت للحصان أمرا، وساعده في استقراء الحدث، هذا أخـوه فارس بن شهوان الذي يتمتع بفطنة تزيد عن فطنة عرار العادية جداً.

---

(١) ترعاه ليلاً في الروضة.

اكتشاف عرار مكيدة زوجته

فاتح عرار زوجته عميره في الموضوع ببرود وتؤده قائلاً وهو يتظاهر بالضحك : أنا رأيت بنات (مشهور)، ولكنها تشبهه شكلاً لا طبعًا (أي أن جريها ضعيف) فماذا تقولين؟ وارتجل قصيدة يمدح بها حصانه ويسب خيل أخيها ومطلع القصيدة :

حصاني عذاب الخيل وإن كان لاحق

وإن كان ملحوق فلاشٍ بنايله

وازداد غيظها، وعزمت على أن ترد الصاع صاعين بقصيدة مماثلة، لكنها مبالغة في إغضابه أرادت أن تؤكد له ظنّه بأن المهرات هن فعلاً بنات (مشهور)، لكنها أرادت أن تأخذ منه ميثاقًا قبل ذلك فقالت له : إن أعطيتني الأمان أخبرتك، وكان في يده عنان فرس، وفي يده الأخرى إناء مملوءاً بالحليب، يشرب منه عادة، ثم يناولها لتشرب، وعلى غفلة منها وضع عنان الفرس الحديدي في وسط الإناء، وقال وهو يتظاهر بالضحك لك الأمان، إلا مما في هذا

الإناء فظنت أن هذا من باب المزاح، لأن الإناء لا يوجد به سوى الحليب، فارتجلت قصيدة طويلة تمدح أخيها، وتفصِّل موضوع التقاء (مشهور) مع خيل عمير ومنها :

تقول عميره بنت مــن يمنــع التلا
قول تنزازا في ضميــري رحايلــه[١]
قول الى من عرض في وسط مجلس
تعايا بــه الفهام عــن قــول قايلـه[٢]

(١) كلمة (يقول) أو (تقول) كلمة استهلالية عادة ما تبدأ بها القصيدة وتختتم وهذا تصرف متعمد من الشاعر فيعتبر هذا للقصيدة كالوسم للماشية حتى لا تنسب قصيدته فيما بعد لغيره، وبعد الإستهلال تشيد بفروسية والدها ثم تقول إن هذا القول الشاعري كلماته تتزاحم في خيالها وعقلها من جراء التأثر، فهذا الشعور لا يحس به إلا الشاعر، فعندما يحرك شجونه أي مسبب يحس الكلمات الشاعرية تتزاحم في تفكيره تريد الخروج كازدحام الناس أو المواشي.

(٢) وهي بهذا من باب الزهو والثقة بالنفس تشيد بشعرها وبجودته.

خوي الذي ما يلبس الدرع كون هو
خوي الذي يعزي الفتى عن حلايله[1]

خوي الذي ما تنجب البيض مثله
مهوب غر جاف يوازي حمايله[2]

إن هبت النكبا ولا صيف الحيا
تشوف عمير كاثرات نزايله[3]

---

(١) بدأت تمدح أخاها عميراً وتشيد بفروسيته وأنه أشجع من لبس الدرع كما تقول وكلمة (ما يلبس الدرع كون هو) إشارة إلى تميزه في الفروسية، كما تؤكد أنه علاوة على ذلك حسن المعشر كريما طيب النفس حتى إن أصدقاءه يسلون عن أهلهم إذا كانوا بصحبته.

(٢) تستمر في مدح أخيها فتقول أنه وحيد زمانه وإن النساء مذ خلقت الدنيا لم ينجبن مثله فصفاته كلها حسنة وحميدة، وليس حقودا وحسودا يلحق أذاه بكل أحد حتى أقاربه في إشارة منها إلى وجود هذه الصفة في زوجها عرار.

(٣) وتسهب في مدحه أيضا والإشادة به خاصة في الشدائد وهبوب النكباء يحصل في الأيام الشدائد الحارة وعند تأخر نزول الأمطار، فعند الشدائد هذه التي لا يستطيع أحد خلالها تحمل غير أهله لكن عمير ترى جيرانه وأتباعه في تلك الأيام كثر.

مروي شباة الفيس من شمخ الذرا

عميـر الى عيا علــى الحب كايله[1]

يطيـــخ ذي في مرق ذي الـــى كبا

مـــن الناس تجـار خبـــاث دغايلـه[2]

إن سلتني فالغــوج لم به أربـــع

والخامسة منتوبــةٍ مـن فصايلــــه[3]

والسادسة خضراء عمير بن راشـد

خوي الذي يشكي المعادي فعايلـه

(١) تشير إلى إفراط أخيها في الكرم وعبرت عن ذلك بأنه يروي حد الفاس من شحم النوق حيث أنه في الأيام الشدائد وقلة المال لدى الناس يتخوف باعة الحبوب من عدم الوفاء ويرفضون البيع وبهذا يستعيضون بأكل اللحوم بالذبح من مواشيهم حتى لا يموتوا جوعاً.

(٢) والبيت بنفس معنى البيت الأول وتذكر أنه يكرر ذبح النوق إذا رفض التاجر بيع الحب وكلمة (خباث دغايله) تقصد بها تاجر الحب وحيله الملتوية في البيع على المحتاجين كعادة أغلب هؤلاء التجار.

(٣) وهي بهذا تشير إلى حادثة التقاء حصانه (مشهور) بخيل عمير دون علم عرار والتي على أثرها أنجبت خيل عمير خيلا أصايل.

بعد مدحها لعدوه عمير وإفصاحها عن خطة اختلاط (مشهور) بخيل (عمير) لم يتمالك (عرار) نفسه من الغضب، فتناول العنان الحديدي المغموس في الإناء وضربها في وجهها بقوة، وانكسرت ثنيتها، وطاحت من مكانها، وكم كان بوده أن يكون بهذا الإناء رمح أو سيف صارم، لأنه لم يتصور أن تكون المسألة بهذا الحجم من المكيدة والتحايل والتجرؤ على هيبته.

عادت عميرة مسرعة إلى خدرها، وأخذت ما يخصها من خفيف المتاع وذهبت إلى بيت عمها الأمير المسن (شهوان) والد عرار، تمهيداً لترحيلها إلى مضارب أخيها وجماعته، وأمضت ليلتها في بيت عمها، والوسطاء غادين رائحين إليها طوال الليل، إلا أنها لم تقبل التنازل عن مطلبها وهو الرحيل، إلى أن حضر (عرار) بنفسه، واعتذر وأبدى أسفه وأحضر معه جمعًا من كبار القوم، ورضخ لشروطها كاملة، ومن ضمنها العبد (مبروك) والفرس (الكحيلة) تُبعث مع العبد لأخيها عمير بالإضافة إلى العديد من

الهدايا الأخرى، فوافق عرار على الشروط كلها، وفي الصباح الباكر أُحضر كل شيء، وجهّز تمامًا وقربت من (الكحيله)، كأنها تربت على ظهرها وتمسح عليه، وربطت ثنيتها المكسورة بعرف الفرس بكيس صغير من القماش، وأخفته داخل الشعر من غير أن يتنبه لها أحد . . أُرسل العبد والفرس وعشرة جمال محملة بالهدايا، ولما وصلوا رجع المرافقون وبقي العبد، وأخذ عمير يستعلمه عن سبب إرسال كل هذا، فقال : أبدًا هذا مجرد هدية من أختك لك، فكرّر مساءلته، إلا أن العبد أنكر كل شيء، وإن الأمر طبيعي واعتيادي تمامًا . . لكن عميرا بذكائه المتميز لم يقتنع، وأخذ يدقق في كل شيء أحضره العبد معه، وعندما تفقد الفرس وجد ثنيّة أخته فعرف الأمر كلّه .

عمير ينتقم لأخته

استاء عمير وغضب، وعزم على الإنتقام، وعزّ عليه أن تبقى عميره (ثرما) بدون ثنيّة بين النساء في الحي، فتحين الفرصة واصطحب معه عدداً غير كثير من أشاوس وشجعان القوم، قاصداً مضارب شهوان وعرار وجماعتهم، لينتقم لعميره، فساروا حتى شارفوا على الوصول إلى مضاربهم، وبقوا عدّة أيام يتحينون الفرصة، يختبئون نهاراً ويخرجون ليلاً، وحانت الفرصة عندما هطلت الأمطار وسالت الأودية، وقد اعتادت فتيات الحي على الخروج إلى البريّة عقب السيل للنزهة والإستحمام في الغدران، فاختفوا ينتظرون مجموعة من نساء الحي رأوهن على بعد قاصدات ذلك الغدير، وفور وصولهن أحاط بهن عمير ورفاقه، وبدأو في تكسير ثناياهن حتى أتوا على أغلبهن، حتى أن بعضهن حاولن الهرب فأعاقوهن.

بعد ذلك عاد عمير ورفاقه مسرعين إلى مضاربهم بعد أن أنهوا

مهمتهم بنجاح . . أما الفتيات فقد عدن إلى الحي نائحات صائحات ومستنجدات، إلا أن الموجود ساعتها من الرجال قليل جداً، حيث كانوا خارجين تحت قيادة الشيخ شهوان وابنه عرار في إحدى الغارات على إحدى القبائل، وبعد يومين عاد شهوان وعرار ومن معهما من الفرسان، فعلموا بما حلّ بتلك المجموعة من نسائهم، فغضبوا كلهم، خاصّة شهوان الذي امتعض جداً وأنشد :

يقول شهــوانٍ وإن لفى من مغيبه
على مهــرات كنهــن طيــور[1]
تمنيت لا حافاتي فــي اللــه بالمنى
إلى إنـي وابني عندهــن حضــور[2]

---

(١) بعد الاستهلال يشيد بفروسية جماعته ويمدح خيولهم التي تشابه الطيور في سرعة الجري.

(٢) من فرط تأسفه عما حصل للفتيات أثناء غيابه يتمنى أنه وابنه عرار كانا حاضرين حتى يشنون دونهن ويلحقون الضرر بعمير المعتدي.

نجيهم على مثل الشياهين كتف
تعطي لعودان القنا بنحور[1]
غذاهن بحب التبن عن ذاري السنا
عليهن من يسقي العدو مرور
يا عز عزا يا عمير بن راشد
كمنك ابن أجواد وجيت غرور[2]
خليت العبيد بات يمشن حسر
عذاب الثنايا والوجيه بدور[3]

(١) يمدح خيله أنهن من سرعتهن يشادين الصقور (الكتف) وهي توصف بكتف عندما تكون طائرة في الفضا، فإذا انقضت صفت الجنحان وأوقفتها عن الحركة إمعانا في السرعة، وهذا كناية عن جري الخيل السريع والتي لا تهاب وتتجه بجرأة إلى الرماح غير آبهة، ثم يذكر أنه أحسن غذائهن وهيأهن إضافة إلى الفرسان التي تفتك بالأعداء.

(٢) (يا عز عزا) كلمة تأسف فيقول للأسف يا ابن أخي الذي فعلت هذا وأنت ابن الناس الطيبين لكن خالفت وعاديت.

(٣) (العبيديات) يقصد الفتيات حيث أن القبيلة تتصل في نسبها إلى عبيدة =

لهن قـــدر عنـــد كســـــابه الثنا
وعنـــد الردايا مـــا لهـــن قـــدور[1]

الحقيقة أنه بعد رحيل العمار عن عرار وجماعته بعد أن نجحت الوشاية بينهم وهم يسيرون من نقص إلى نقص حتى وصلوا إلى الحضيض، وتفرق عنهم أكثر القوم، لضعفهم وتدنّي سمعتهم، وانعدمت هيبتهم وهانوا في أعين القبائل كلها، ووطأتهم المذّلة والفقر، حتى عميره لم تعد تطيق البقاء معهم، فرحلت إلى مضارب أخيها عمير.

= بنت المهلهل فيقول أنك تركتهن يمشين (بعرج) حيث أن بعضهن كسرت ساقها عندما حاولت الهروب قبل أن تكسر ثنيتها، ثم يشير إلى جمالهن الباهر الذي معه لا يستأهلن ما حصل.

(٣) يقصد النساء اللاتي أغار عليهن عمير وكسر ثناياهن، بل يقصد النساء عموما بأن لهن قدر طيب لدى الرجال الطيبين ولا يحط قدرهن إلا الشخص الدنيء.

فارس بن شهوان يستنجد بالأتراك

أما عمير وجماعته فإنهم قد إزدادوا ثراءً، وقويت شوكتهم، وازدادوا عدّة وعتاداً، فلم يعد فارس بن شهوان يحتمل ما يرى من شأن جماعته وضعفهم، ومن شأن جماعة خصمهم عمير وقوتهم، فقد كان يسمع عن الترك في الشام والعراق وقوتهم، وسحقهم للقبائل، وأنه قد استنجد بهم أكثر من شخص، في حالات مشابهه، وإنهم نصروه - لمطامعهم الشخصية - فقرر فارس الإستنجاد بهم، فاتجه للعراق للإتصال بهم وإغرائهم لمحاربة مجموعة عمير الثرية، فاتصل بالوالي التركي في العراق، وأوغر صدره ضدهم، وطمعه فيما معهم من الأموال الطائلة والثراء الفاحش، وإنهم سلبوا الإمارة منه ومن والده قبله، وإنه مستعد بعد إعادة الإمارة إلى الإنقياد كما يريد الوالي، بل وعرض فارس خدماته على الوالي، وأن يجعل فرسان قومه تحت تصرفه، وجدها الأتراك فرصة واتفق معهم على محاربة عمير، وأن يكون المال المكتسب

مناصفة بين الترك وفارس وجماعته بعد أن يهزموا عميراً ويسلبوا المال، فانطلق القائد التركي بآلاف الجند متجهين نحو الجنوب الغربي، وعبروا من فوق جسور نهر دجلة ثم نهر الفرات، ومعهم مجموعة من أعراب الصحراء يسمون دلائل (واحدهم دليل ، أو علام)، ولما وصل القوم إلى مشارف الدهنا[1] ومنظرهم يسد الأفق، ومعهم (فارس)، الذي جلبهم وأغراهم، تأكد عندها من قوتهم، وإنهم سيسحقون عميراً وجماعته تمامًا، ولن يكتفوا بهزيمتهم أبدًا، فبدأ الأسف يدب في عروقه، والندم يؤرقه، لكن هيهات فلن يستطع، وقد وصلوا إلى هذا المكان فحاول فارس أن يجزل المكافأة لأحد الدلائل (العلاّم) ليسبقهم وينذر القوم، لكنهم رفضوا كلهم تجنبًا للمخاطر التي قد تلحق بهم، إمّا من جرّاء السير بمفردهم في الصحراء أو ربما علم بهم الترك وعاقبوهم بالقتل.

(١) صحراء رملية لا زالت تعرف بهذا الإسم إلى الآن تمتد من جنوب شرق الجزيرة العربية إلى شمالها.

على أي حال واصلت جحافل الترك السير حتى وصلوا إلى مضارب عمير وجماعته، وكان فارس قد اتفق معهم على أن يطلبوا (ميثا)[1] لمعرفته التامة برفضهم - وإذا رفضوا يبدؤون بمحاربتهم، وصلت جموع الترك كما ذكرنا وأرسلوا في طلب الأمير (عمير) فحضر وسألهم عن مطلبهم، فعرف أنهم محاربوه لا محالة، وإن تسليم (ميثا) مستحيل، وطلب منه القائد التركي رد الجواب سريعًا، فقال سمعًا وطاعةً، وانصرف وبعد أن قفل راجعًا قال أحد الدلائل : سيحارب ولن يسلم قالوا وما أدراك، فقال عندما حضر كانت جوخته[2] تصل إلى منتصف ساقه، أما الآن فهي فوق ركبته، أي أنها قصرت إثر زيادة الغضب، وانتفاخ الأوداج وتأثر العضلات عمومًا، ولمّا حضر استدعى أخاه الفارس المغوار عقيل بن راشد يستشيره ليرى وجهة نظره، أو ليطمئن أنه موافق على

---

(١) زوجة عمير.

(٢) **الجوخة** : لباس يلبس فوق الثياب على هيئة (جاكيت) طويل وله تسمية متأخرة هي (الصاية) ولون الجوخة أحمر ولا يلبسها إلا أكابر القوم.

رأيه بمحاربتهم .

فلما عرف عقيل أن هذا هو مطلب الترك بعد أن ردّد عليه أخوه الكلام عدّة مرّات - وكان أطرشا - صاح ثلاث مرات قائلاً ، ميثا لا ، وفي المرة الثالثة قفز حتى اعتلى سرج فرسه واستوى عليه .

بدء المواجهة وهزيمة عمير وقومه

اطمأن عمير إلى جدّية أخيه الفارس، ورسموا خطة القتال مع هؤلاء الترك، أما الترك فقد أرسلوا لعمير رسولين، ليعرفا منه رد الجواب، فما كان منه إلا أن قتلهما، وأعاد رأسيهما على الراحلة التي قدما عليها إلى الترك، وهذا معناه بداية القتال، والكر والفر، وقتل من الترك أضعافًا مضاعفة لعدد القتلى من جماعة عمير، واستمرت المنازلة شهرًا، لكن كما قال المثل (الكثرة تغلب الشجاعة)، فدارت الدائرة على قوم عمير، وقتل صفوة الفرسان، بمن فيهم الفارس الفذ عقيل، ولم يبق من كبار القوم والفرسان سوى الأمير عمير، الذي نجا بمن نجا به من الأطفال والنساء هاربين، وكان قد نظم قصيدة أثناء سير المعركة، أوضح فيها ما أبلوه من بلاء حسن وكثرة ما قتلوا من الترك، وأثنى على الفرسان خاصة الفارس المغوار عقيل، وذكر أنهم قتلوا قائد الترك (الباشا) فيقول من قصيدة طويلة :

اخــوي وابن أمـــي جلب ما يضرنا
وهو بالعيا من يوم شب وشـــاب[1]

حـدى علينا الترك قطاعـــة الثنا
غــادي الجـــدا يسـعى لنا بذهــاب[2]

يـبــون مـيثـا نقـــوه مـــن حـريمنـا
وهـــذا علينا خـــزوه وعتــــاب

تقـــول ميثا ياهلي وارخصـــوني
على الترك لا يغدى لكم بارقـاب[3]

---

(١) يخبر جماعته بما حصل وأن فارس بن شهوان أخوه من أمه قد استعدى الترك عليهم وجلبهم ويؤكد أن الطبيعة الماكرة الحاقدة هي طبيعته منذ أن كان شابًا.

(٢) يستطرد في شرح الموضوع بأنه جلب الترك أملا في سحقهم وأن مطلبهم تسليم ميثا وهذا لا شك لو حصل عار ما بعده ولا قبله.

(٣) ميثا عندما رأت جموع الترك وسلاحهم توددت إلى عمير وأقاربها وجماعتها بأن يرخصوها (فدوة) لرقابهم لكن هذا أمر محال.

حلــف عقيلٍ لــو غدينــا وخيلنــا

يا دون ميثــا ما يصــك الـــبــاب

أنا عمـيــر الضيغمــي بن راشــد

وربّـــي جعلنــي للرجال عذاب[١]

ونا كما شعشـــاع نجم الى انشهق

على هضبـــة يودع حصاها تراب[٢]

ولا ينفــع المضيــوم يا كود ربعــه

الى غط بـــه مـن غير نابه ناب[٣]

(١) ثم أخذ يمدح نفسه بثقة وأن الله جعله عقوبة للرجال كناية عن خوفهم منه وفتكه بهم.

(٢) يستطرد في المدح ويشبه نفسه بالشهب المنقض والذي إذا أصاب هضبة صخرية يحيلها إلى تراب.

(٣) ثم يمدح جماعته وأن جماعة الشخص هم ملجؤه وقوته في أوقات الشدة بعد الله.

الى تلاقــو مــع عقيــل ترعرعوا
ترعواع سيــل فــي مقــر رغــاب[1]

اللي ذبح زيزومهم باشـه البــوش
وكل خـذا من كف أخوي صــواب[2]

خلاّه في الرمضا مع الرمث والغضا
كابــي على وجهــه بغيـر اسلاب

(١) يشير إلى فروسية أخيه عقيل ويصف تقهقر الأعداء إذا واجههم كتقهقر السيل في المنخفض من الأرض وهذا وصف بليغ لا شك.

(٢) يسترسل في مدحه لأخيه عقيل والإشادة بفروسيته وأنـه قتل مـن ضمـن مـن قتـل رئيـس الترك (رئيس الباشوات) إضافة إلى القتلى والجرحى الآخرين الذين يتركهم جرحى في ساحة المعركة في حر الهجير باقين فيها بعد انقضاء المعركة بين شجيرات الرمث والغضا وكم قتيل منكب على وجهه بمنظر مفزع وبدون ملابس.

أقول نجا عمير بمن معه من النساء والأطفال، وشرذمة قليلة من الرجال، فهاموا على وجوههم هاربين في الصحراء بعد أن بلغت الذلة والصغار والتشرد بهم كل مبلغ، وأخذ حلالهم الوفير من الخيل والإبل والغنم ومتاع وزاد، فبقوا جماعة صغيرة متنقلة في الصحراء، غير ذات شأن.

فارس وجماعته يجنون ثمرة الإنتصار

أما ما كان من عرار وفارس وجماعتهم فقد سارت كل الأمور لمصلحتهم، وأوفى الترك بوعدهم مع فارس، وقسّموا الغنائم بينهم، وعاد الترك من حيث أتوا، ومع أن فارسًا استحسن واغتبط بهذه النتيجة إلا أنه أحسّ بشيء من تأنيب الضمير، وأخذ يبرر لنفسه بأنه حاول إنذار القوم مسبقًا، ولم يستطع، إذ يقول في قصيدة نظمها بعد سحق أبناء عمومته وهي طويلة :

قال العبيـــدي والعبيـــدي فارس
وهو جاهل والحر تمضي جهايله[1]

ظهرت بعطران اللحا مـــن بلادهـم
يشـــدون كتفان الدبا في مصايله[2]

---

(١) استهلها بالإستهلال المعتاد ثم يؤكد أن تصرفه هذا تصرفا أحمق وتصرف جاهل لكنه يقول أنه حر والحر في زعمه ينفذ ما نوى به ويرى أنه يخدمه وإن كان تصرفه تصرفا يعتبره أرعنا وأحمقا.

(٢) يفصل سيرته أثناء جلبه للترك وإنه جاء بهم من بلادهم (وعطران) =

نـادى المنـادي فـــي منـــارة فـارس
يا جنــدنا كلـــي يدنـــي زمايلــه[1]

وقطعت بهـم البحرين ونـا مسجـــم
الى الغيض من صدري قد انجال جايله[2]

وشرطـــت للعلام تسعـــين بكـــرة
وعياني العـــلام ذهبـت حمايلـــه[3]

= اللحى يقصد أن شعورهم شقراء والتي تختلف عن الشعور العربية السوداء وشبه كثرتهم بـ (الدبا) وهي صغار الجراد، ويذكر أن بداية الرحيل عندما نادى مناديهم من فوق أحد الأبنية المرتفعة وأن اسم هذا المبنى (منارة فارس) نادى المنادي في الجند بأن يستعدوا للرحيل.

(١) المرجع السابق.

(٢) يقول أنه جزع بهم النهرين دجله والفرات (البحرين) وكان في حالة تفكير مستمرة وعميقة وهو بتفكيره هذا يوازن حساباته وتصرفاته، بعدها خف الحقد والغضب من صدره وتأسف على جلب الترك ولكن هيهات وقد قطعوا نصف المسافة.

(٣) يقول أنه بعد أن تأسف على استعداء الترك على أبناء عمومته أجزل العطية لأحد الدلائل (مرشدي الطريق) لكي يسبقهم وينذر عمير وجماعته بالرحيل إلا أن العلام رفض، لخطورة الأمر فهو إما أن يعلم به الترك فيقتلوه =

ساعــة وصلناهــم وحــل الملاقى
في صحصح خده من الدم سايلـه[(١)]

الى قلت أخذنا بوشهم زاد هوشهم
مال غشا البرقـا وخيـل تهايلـه[(٢)]

عقب الكدا خلــو لنا حلــوة النــدا
خلـــو لنا ذود مـــلاح ذلايلـــه[(٣)]

يا عــز عــزا يا عمــر بن راشـــد
مع كـل ريـع دقـل خيـــل تمايلـــه[(٤)]

= أو يعترضه أحد وهو بمفرده ويقتله أو يفعل ذلك ولا يفي فارس بوعده بتلك الجائزة الضخمة.

(١ ، ٢ ، ٣) يصف المعركة وسيلان الدم وقوة شكيمة عمير وجماعته واستبسالهم في اللقاء إلى أن هزموهم وكسبوا منهم المال والمواشي التي منها الإبل المليحة.

(٤) يتأسـف ويرثي لحال ابن عمـه وأخيه مـن أمه (عمير بن راشد) ويصف الحالة السيئة التي هو فيها عندما أغارت عليه خيول الترك من كل جانب.

يا عــــز عزا يا عميـــر بن راشـــد
لا مـن حفـر قبره ولا من يهايلــه[1]

خوي ابن عمّي نور عيني عن العمى
يعــــز علــيّ اليـوم لولا فعايلــه[2]

قطعت يدي بيدي وعيني فضختها
جــل عنــك ذا رأي قليــل دلايلــه[3]

زيزومهم بـالحرب غمـــر مجرب
عقيــــل بن راشـد كبـار وهايلــــه[4]

(١ ، ٢ ، ٣) كان يظنه قد قتل مع من قتل، ومن رثائه لحاله يقول إنه ربما لم يجد جثته أحد، ولم يحفر له قبر، ولم يدفن، ثم يبرر لنفسه عن تصرفه فيقول: أنه عزيز عليّ جدا لولا أفعاله السابقة، ورغم تبجحه بالنصر إلا أنه يؤنب نفسه ويصف نفسه كمن قطع يده بيده الأخرى، وفقأ عينه بيده، ويؤكد أنه رغم النجاح الذي وصلت إليه نتائج خطته إلا أنه يعتبر هذا التصرف رغم ذلك تصرفا مائلا غير محق.

(٤) يشيد بشجاعة وفروسية عقيل بن راشد وأنه سيد الفرسان كم من رأس شجاع مقدام قطعه وتركه بالخلا مائل العنق.

ياما قطع بالسيف من رأسي ساطي

خلاه في البيد علابيه مايله[1]

وبقي عرار وجماعته في مضاربهم بعد أن زادت ثروتهم وسحق عدوهم وقويت شوكتهم وهابهم الناس وتبعهم الأتباع . . لكن على ما يبدو قابلوا هذا الرخاء والعطاء بالجحود والنكران والظلم والطغيان فلما لم يرعوا النعمة شاء الله أن يعجّل لهم العقوبة .

(١) المرجع السابق.

حادثة الغرق ونهاية آل شهوان

في ذات يوم من أيام الصيف وفي وقت ليس من مواسم المطر المعتادة وكان القوم يحلّون في وسط الوادي وعلى ضفتيه (ووادي الرمّة كما هو معروف بعيد المنابع بمئات الكيلومترات عن موقع مضارب عرار وجماعته) أقول في وقت الهزيع الأخير من الليل رأى عرار إحدى بناته واقفه، وممسكة بطنب الخيمة، فاستفسر عن سبب وقوفها في هذه الساعة بهذا المكان، فذكرت أنها رأت ضوء برق، وأرادت أن تتأكد من ذلك، ولكون الموسم ليس من مواسم المطر نهرها عرار عندما ظن بها ظنّا سيّئًا، وأمرها بالعودة لمضجعها، وفي صباح الغد لاحظت ابنة عرار المذكورة (وكانت ذكية فطنة) لاحظت أن إناث الجرذان والجرابيع ينقلن أولادهن الصغار من جحورها على ضفتي الوادي إلى الأماكن المرتفعة البعيدة عن الوادي، وهي عادة لا تفعل هذا إلا عند استشعارها بمجيء السيل، حيث تستشعر صوته مع الأرض، وأسرت بهذه الملاحظة إلى شقيقتها الكبرى التي بدورها

أبلغت والدها عرار، فظن أن تصرف الفتاة هذا ما هو إلا تبرير لعذرها الذي أبدته البارحة، ولم يكترث أو يهتم، وبعد ليلتين فاجأهم سيل رهيب جارف، كأنه الطوفان، أتى على كل شيء بدءاً من أفراد القبيلة، والمواشي والأمتعة والخيام، ولم ينج منهم إلا القليل، وكان عرار ضمن الناجين، حيث خاض به حصانه مشهور غبّة السيل، ونجا بقدرة الله، وكم كان يتمنى أنه لم يبق ولم ينج، إذ تحوّلت حياته كلها إلى حسرات وتشرد وحزن، وهام على وجهه ونظم عدّة قصائد، يصف فيها حاله وما آل إليه، ومن قصائده :

يقول عرار قول من ضل موقف
على الدار يرثي بالدموع الذرايف(١)

---

(١) يصف حزنه وجزعه على قبيلته بعد أن داهمتها السيول الجارفة، ويخاطب عينه الباكية قائلا : إذا كان كثرة البكاء يقرب العمى فأنا خائف ومتوقع قربه من شدة البكاء، حيث أن عينه لم تتوقف عن سكب الدموع بحرقة ولكنه يطمئن عينيه ويجيزهما بأنه لا يلومهما من جراء هول الموقف الذي أبكاهما.

ترى إن كان يا عين البكا يدني العمى
فنا منك يا عيني مريب وخايف[1]

قامت تهل الدمع من شد ما بها
ولا لومها من هول ما نيب شايف[2]

سرى بارق يوضي سناه لكنه
من البعد يومي بالشياب الرهايف[3]

سيل مريع يوم جانا زفيره
يدر بي الحصا من عاليات المشارف[4]

ويحط عش الطير من مستكنه
ويفرق طربات الحمام الولايف[5]

(١ ، ٢) المرجع السابق.

(٣ ، ٤ ، ٥) يصف الطوفان الذي أغرقهم ويشبه البرق كأنه أشخاص تقف عن بعد وتلوح بقطع القماش البيضاء الجديدة، ثم جاء السيل المريع بالحجارة. والجلاميد الصخرية التي أنزلها من عاليات الجبال، حتى أعشاش الطيور أخرجها من أماكنها بين الأحجار وفي أعالي الأشجار وحتى أزواج الحمام تفرقت لتنجو بنفسها وقتل أكثرها.

غدا بالرجال وبالسبايا وبالقنا
والصارم الهندي وزين الكلايف[1]
وغدا بالصبايا اللّي على زمة الصبا
رهاف الثنيا مدمجات العكايف
بيض هماهيج يشادن المها
لطاف المثاني محصنات عفايف
منهن بنت القوس بيضاء عفيفه
لجا حبها بين الضلوع النحايف
ومنهن بنت العم مهضومة الحشا
تأخذ عزا مشتاقها بالطرايف
حسان يقودن طارد الغي للهوى
كما قيد للمسني بكار عسايف

(١) يذكر أن هذا السيل الجارف ذهب بالرجال والسلاح وبالحلي والمال والحلال وبالفتيات ثم أسهب في وصف تلك الفتيات العفيفات بأجمل الأوصاف.

فلا واحلى لو التمني سماجه
أحل في نجد آمن غير خايف[1]
من عاش بالدنيا زمان وصفت له
يشوف فيها مثل ما كنت شايف
غدا صرفها بجموع قومي وخلتي
وشبان قوم مشرعين المضايف
فكفى كفى الدنيا الى عاد خيرها
فراش الثرى من عقب لين اللحايف

(١) يتمنى أن يكون بعدما حصل له من المصائب أن يكون آمن لا يخاف من أحد، لكن كيف يأمن ورأسه مطلوب لأخصامه الذين سحقهم، فيرد على نفسه بأن التمني ممقوت.

ثم يصف الدنيا بأن صفاءها يتحول إلى كدر مهما يكن ومهما يطول، ويجزم أن كل من عاش بها سيرى فيها مثل ما رأى هو من المصائب التي حلت به وبقومه، ويكفي وعظا أن الشخص يستبدل الفرش الرقيقة بالتراب عندما يموت غطاء ولحافا.

بقي عرار هائمًا على وجهه، حتى أن عميراً وأخته عميره ومن معهم لم يعلموا بنجاته، وفي ذات ليلة وعندما كانت عميره نائمة فإذا بعرار يقف على رأسها، ويوقظها ويجلس معها، فأرادت أن تبقيه، وأن تطلب له الأمان من أخيها، وأصرت على ذلك، فرفض رفضًا قاطعًا، مستبعداً حصوله على الأمان بعد كل هذا الذي حصل، فكفأت القدر على أثره حتى أصبح الصبح لتؤكد مجيئه وتثبته، تحسبًا لكل أمر، وفعلاً عند الصباح أخبرت عميراً، فتأسف وأصرّ على أن يلحق به ويصالحه، ويأتي به فكلا الطرفين حصل لهم من المصائب والكوارث ما يكفي، فلحق به مع أحد رفاقه، وجدّوا في السير على أثره، فلما كان من صباح اليوم الثاني فإذا بهم يلحقون به ويستوقفونه في الصحراء، فلما عرفهم ظن الظن السيء بهم، وجزم في قرارة نفسه أنهم لحقوا به ليظفروا به ويقتلوه، فعزم على تطبيق مقولة المثل (بيدي لا بيد عمرو)، فقطع رأس حصانه، ثم ركز رمحه وأسقط نفسه عليه بقوة، فبقر بطنه حتى خرج من ظهره ومات.

التعريف بأهم المواقع الوارد ذكرها في السيرة

١ - الحصـــــاة :

اسم محرف عن (الحصاء) وهي سلسلتان من الجبال جنوب محافظة القويعية، السلسلة الأولى جبال سود، والثانية حمر، وبينهما ثنايا وطرق سميت الحصاء بهذا الاسم لخلو أغلب جبالها من النبات والشجر فكل شيء خالي من النبات يقال له أحص، يقول معقل بن ريحان:

جلبنـا مــن لحصـاء كـل شمـره

مشذبـة فرجـاء كـالجـذع جيدهـا

وكما ذكرت قد حرف اسمها في القرون المتأخرة إلى (الحصاة)، قال أخو عطاء من قصيدته التي رثا بها أخاه:

أتتـه على الحصـاء تـهـوي وأمـسكت

مـصـارع حـمى تصـرعنه ومـومـهـا

فـيا حبـذا الحصـاء والبـرق والعـلاء

وريـح أتانـا من هناك نـسـيـمـهـا

ويخطئ من يظن أن الحصاتين هما عمايتان المشار إليهما في في بعض المعاجم الجغرافية القديمة وأحيانًا تفرد وتسمى عماية أو تثنى وتسمى عمايتان، وقديمًا كان يأوي إلى عماية من أراد الاختفاء لأي سبب، فإذا دخل عمي خبره، ومسالكها منيعة وإذا دخلها الشخص يصعب عليه أن يهتدي إلى طرقاتها :

قال جرير :

وخفتك حتى زلزلزتني مخافتي

وقد حال دوني من عمايته نيف

وقال عبدالله بن مجيب الكيلاني :

جزاء الله خيرًا والجزاء بكفه

عماية تحنا ام كل كل طريد

وعماية جبل في عارض اليمامة يقسمه وادي برك فما كان عن وادي برك جنوبًا إلى وادي بريك سمي عماية، وما كان عن وادي

برك شمالاً إلى الأفلاج سمي عماية أيضًا، ولهذا قد تثنى وقد تفرد. وقد أشار إلى ذلك المسمى المؤرخ محمد بن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار» برواية عن الشاعر الكبير ابن عثيمين الذي كان يسكن حوطة بني تميم رحمهم الله.

٢- ماســـل:

ماسل الذي ذكر في قصيدة شهوان الضيغمي هو مورد ماسل الواقع في الهضب جنوب محافظة القويعية، وهناك مورد آخر بهذا الاسم يقع في الحصاء (الحصاة القصوى)، كما يوجد جبل ماسل الجمح في غرب جبال سواد باهلة غربًا من محافظة القويعية، وماسل الهضب هو المعني في قول الشاعر:

كادئبك من ام الحوير في قبلها

وجار تهام الراب باماسل

وماسل تابع من الناحية الإدارية لمحافظة وادي الدواسر ، قال الشاعر الدوسري :

انت يا عد ماسل وين وردك العام
وين راحت ورود كان تدهل جباك
يوم وردك زعاجيل القطى والحمام
شفتهم عقب ما خلوك قلت حلاك

٣ - مويسل :

مورد ماء عذب يقع في الهضب شمالاً من مورد ماسل وقريبًا منه ، قال الراجز :

ظلت على مويسل حياما
ظلت عليه تعلك الرماما

٤ - القمــــرى :

وادي يتجه من الشمال إلى الجنوب يقع بين الهضب والسواده وكان يسمى قديمًا (المقراة)، وفي القرون المتأخرة حرف الاسم قليلاً ليصبح (القمرى)، قال الشاعر امرؤ القيس:

فتوضح فالمقـرات لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمالِ

٥ - روضة البعج:

تقع قرب مدينة عنيزة على ضفة وادي الرمة الجنوبية يفصل بينهما وبين مجرى الوادي حبل رملي، وهذا الحبل يحجز سيل شعب البعج في الروضة وشعب البعج حرف اسمه أخيرًا إلى (البعجاء)، وهو شعب ليس بالطويل ينبع من صفراء البربك الواقعة بين عنيزة والمذنب ويتجه شمالاً غربيًا حتى يصب في وضة البعجاء التي وصلها في السنوات الأخيرة عمران مدينة عنيزة.

٦- النبــــاج:

تسمى حاليًا الأسياح تقع شمال القصيم وهي قرى عديدة ذكر أن أول من اختطها هو عدالله بن عامر، وكان بها عيون تسيح على وجه الأرض في الزمن السابق وبها يقع قصر مارد الأثري، وقد قيل أن سلطان مارد قد جاء حاجًا فلما وصل إلى موقع الأسياح أعجبه هذا الموقع واختط فيه القصر وبناه، وكان ابن عامر هذا من رجالات الدولة العثمانية فعدل عن الحج في هذه السنة وأمر مرافقيه من الجند ببناء القصر وإعمار المزارع.

فلما اعتصم بالقصر قطع مواصلته في الدولة العثمانية وسيطر على ما حوله، وقد حصلت له قصة مع بوادي الضياغم ذكرها ابن عبيد في تاريخه (أولي النهى) عندما خطب ابنة زعيم الضياغم وكانوا بادية رحل فوافقوه بخدعة بأن وضعوا له إحدى عبداتهم في عبيط على رحل جمل وقالوا له هذه هي ابنتنا التي خطبت ونشترط عليك أن لا ترى ما في هذا الغبيط إلا من الغد حتى يتمكنوا من الابتعاد عن

المنطقة، لكنه بعد أن اكتشف الخدعة طاردهم وحاربهم وأدبهم واقتص لنفسه.

وأهم قرى الأسياح الشمالية : العين، والبرقه، والتنومة، وخصيبة، وحنيظل، والقصر. أما القرى الجنوبية فالنبقية والجعله.

٧ - تثليث:

وادي ينبع من السرات متجهًا للشمال الشرقي به عدد من القرى والهجر، وأغلب سكانه بوادي رحل.

قال الهمداني : تثليث كان لعمر بن معد يكرب فيه حصن ونخل، ثم قال: (ومن الهجيره، وتثليث تصل إلي جاحش ثم المضاضة ثم ترج).

وقال الحموي في معجمه : (يوم تثليث من أيام العرب بين سليم ومراد.

قال محمد بن العلوي :

لتونس لنار بتثليث أوقدت

وتا الله ما كلفتها منظر قصره

وقال الأعشى :

وجاشت النفس لما جاء فالهم

وراكب جاء من تثليث معتمر

وتثليث كما ذكرت وادي عظيم تصب فيه أودية كثيرة قيل إن أشهرها ثلاثة عشر واديًا وهو من منازل قحطان.

قال ناصر بن عمر بن قرمله :

يسقي المفازة من صدوق المخاييل

مع جر تثليث تقافا سحابه

حيث مرب للعنوز المغازيل

جرد المها ما حسن تهيضع رقابه

شــــربت أنا به شــــربة تالي الليل

مــثل النهـــال اللي شـــروبه انهـــابه

٨ - ســـديرة:

ماء قديم يقع في صحراء الجلة شرق محافظة القويعية ذكرها ياقوت الحموي في معجمه وحدد موقعها بين جراد والمروت وقد أقطعها الرسول ﷺ لحصين بن مشمت لما قدما عليه مسلماً، وهي من مياه بني قشير. قال الشاعر:

تسألني كـم ذا كـــبت ولـــم اكـد

بنفســي من يـوم الســديرة افلـــت

٩ - الســــرداح:

وادي واسع غرب سواد باهلة يتجه جنوبًا حتى يلتقي بوادي السرة عند جبل التيس شرق صبحا ويوجد بوادي السرداح حاليًا عدة هجر تزيد عن العشر.

١٠- الركـــا :

وادي عظيم وهو أشهر أودية عالية نجد وأطولها مجرى تصل منابعه العليا إلى دمخ والعلم والزيدي، ويصب فيه العديد من الأودية الكبيرة، ويتجه شرقًا ويصب وادي الركا في وادي برك عندما يلتقيه جنوب حوطة بني تميم.

قال لبيد بن ربيعة :

فـــدد عاســـره الركـــاء كـمـــا

دعدعـــا ساقي الأعاجـــم الغربـــاء

وقال الراعي :

بميثاء ســالــت مــن عسيب فخالطـت

ببطـــن الركـــاء برقـــه واجارعـــا

١١ - الحدبــــــا :

أرض مستوية واسعة تقع شرقًا من مدينة القويعية خالية المعالم مما يجعلها شديدة البرء شتاءً، يتوسطها جبيل صغير يسمى (سوفه)، وكانت تسمى قديمًا الهلبا، غربها لباهلة وشرقها لبني قشير. وصحراء الحدبا من منابت العشب الهامة في وسط نجد ويصب فيها عدة أودية أشهرها وادي الخنوقه المعروف حاليًا بوادي الخنقة وهو وادي عظيم يبلغ طوله حوالي ١٥٠ كليو متراً.

١٢ - الرمــــــة :

وادي عظيم منابعه من الجبال المتاخمة للمدينة المنورة ويمتد مجراه حتى يصب في الخليج العربي بين البصرة والكويت، وهو أطول أودية الجزيرة العربية على الإطلاق قد يصل طوله أكثر من ١٠٠٠ كيلو متر.

قال الأصمعي : الرمة وادي يمر بين أبانين يستقبل مطلع الشمس ويجيء من المغرب وهو أكبر وادي بعلمه يدفع فيه أودية كثيرة. وبين أسفل الرمة وأعلاه سبع ليال فأعلى الرمة لأهل المدينة وبني سليم، وأوسطها لبني كلاب وغطفان، وأسفلها لبني أسد وعبس.

قال الراجز :

لم أرى ليل كليل مسله

ان اهتديت والفجاج مظلمه

لركبين نازلين بالرمه

وقالت امرأة كانت تنسج نسيجًا :

لشقتي أعظم من بطن الرمة

لا تستطيع مثلها بنت امه

الا كعاب طفلة مقومه

وحاليًا يتوقف مجرى الرمة بعد اعتراض جبال رملية يسمى (رمل العيون) بسبب قلة كميات السيول المنحدرة في الأزمنة المتأخرة، ولكن مجرى الوادي يتضح أنه يستمر إلى الخليج العربي.

١٣ - الدهنا:

كثبان رملية تقع شرق الجزيرة العربية سميت بذلك لاختلاف النبت والأزهار في عراضها وهي من ديار بني تميم المعروفة.

قال الساجي : والدهناء سبعة جبال من الرمل بين كل جبلين شقيقة من حزن ينسوعه إلى رمل يبرين، وهي من أكثر بلاد الله كلاء، وإذا أخصبت الدهنا ربعت العرب جمعاء، وهي عذات مكرمة من سكنها لا يعرف الحمى لطيب تربتها وهوائها.

قال الشاعر :

ألا حبــذا الدهنــا وطــيب ترابـهــا

وأرض خــلاء يصــدح اليل هامـهــا

وقالت العيوف بنت أخي ذي الرمة :

خليلي قوما فارفعا الطرف وانظرا

لصــاحب شــوق منظرًا مـتــراخـيــا

عــسى أن نرى والله ما شاء فاعل

بأكـــثـــبــة الدهنا من الحي باديا

فهرس المحتويات

فهرس القصائد

ح سليمان بن محمد الحصان ، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحصان ، سليمان بن محمد

الرواية المحلية لسيرة عمير وعرار : الضياغم . ــ الرياض.

١٠٤ص ، ١٧×٢٤سم

ردمك : ٨-٩٥٢-٣٦-٩٩٦٠

١- الضياغم (قبيلة) ٢- القبائل العربية أ- العنوان

ديوي ٩٢٩،١ ٢١/٠٨٩٩

رقم الإيداع : ٢١/٠٨٩٩

ردمك : ٨-٩٥٢-٣٦-٩٩٦٠

طبعت بمطابع دار طيبة - الرياض السويدي
شارع عبدالملك بن هشام - ت ٤٢٨٣٨٤٠